المقام

رواية

جابر الزهيري

بطاقة الكتاب

المقام

جابر الزهيري

رواية

رقم الإيداع : ٢٩٧٥ / ٢٠٢٠

الطبعة الأولى

عدد الصفحات: ١٣٦

تاريخ الإصدار: يناير ٢٠٢٠

الإخراج الفنى و المراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة و النشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

جميع حقوق الطبع والنشر

محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار

نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا

بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيت الإبداع .. وموطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

المقام

جابر الزهيري

رواية

الإهداء

لكَ يا صاحبة أكبر مقام ومكانة....

لكَ يا مولاتي....

لكَ يا أمي...

أهدي قلبي قبل كلماتي

(١)

صباح جديد

هدوء الليل يجعل كل الأصوات البعيدة تصل إلى الأسماع، وخاصة ما يتوارى منها في ضجيج النهار بما يحمل من أعباء الحياة، فيكون الصوت وإن كان يبدو حال النوم همسات بالأذن، ربما يستشعرها السامع وكأنها من الرؤى والأحلام، أما في ليل الشتاء الطويل الذي يدفع الجميع للاختباء من برودة الطقس خارج منازلهم والانزواء داخل أغطية كثيفة لعلها تمنح الدفء، وخاصة فى عدم وجود أي وسيلة لقتل ذلك الوقت الطويل إلا جهاز التلفزيون الذي يبث قناتين فقط، وما يبث أصبح يصيب بالملل من كثرة تكراره، وكذلك لا مجال للتزاور في هذه الأيام خاصة وأن جميع شوارع القرية قد أصبحت موحلة نتيجة هطول الأمطار الغزيرة التي بدأت العام الجديد وكأنها تغسل وجه الدنيا، فغسلت الجدران المبنية باللبن مما نحت بها تجاعيد شيخوخة مبكرة.

لا مفر من الاستدفاء على الموقد الطيني بالحطب وقطع الأخشاب الناتجة عن جزوع أشجار الصفصاف اليابس، وصنع كوب من الشاي الثقيل على نار الحطب، ربما يدفع ذلك ببعض النشاط في الجسم لمتابعة الاستذكار بدلا من النوم محتضنًا الكتاب، كان على فترات متباعدة يسمع صوت الكروان ثم نعيق غربان وأصوات مواء قطط أو نهيق حمير؛ جعلته تلك الجمل المتنافرة موسيقيًا يتراجع عن فكرة الجلوس في الحجرة الأولى بالمنزل، فقام ليحمل موقده وشايه ويعود إلى حجرته الداخلية، فيكفيه صخب يوم كامل منذ السادسة صباحًا، فهو يريد السهر ليتمكن من الاستذكار في هدوء بعد نوم إخوته، وكذلك ليستمتع بساعات الصباح ولو ليوم واحد نائمًا؛ فلا يوجد لديه بالجامعة أي محاضرات يوم الخميس.

سرى مع الأصوات البعيدة القادمة إليه بلاغًا عن متوفى، ولكنه لم يميز الاسم لبعد المسافة بين المسجد المبلغ منه، لكنه ميز صوت المبلغ من لثغته المميزة، إنه صوت الشيخ بدوي مؤذن جامع الحاج علي؛ فالمرحوم من بحري البلد، ابتسم قائلاً: (لا يطلع من قرايب أمي تبقى لا فيها نوم الصبح ولا دلوقتي)، انتظر حتى يتكرر البلاغ من المسجد الأقرب لمنزله ليتأكد من تحديد شخصية المتوفى، جاء صوت محمود عبدالقادر بمدوده المشهورة في نهايات الكلام ليعيد البلاغ، بعد

تكرار كلمات التوحيد (الحاج علي أبو حسانين المأذون توفى إلى رحمة الله والدائم الباقي هو الله).

استيقظت القرية على صوت مكبرات الصوت في كل المساجد بعد صلاة الفجر، لتكرار التنبيه والإبلاغ عن المتوفى، كي تتجمع الأهالي التي ستقوم بتشييع الجنازة إلى مكان الدفن بالجبل الشرقي، فمن عاداتهم أن يتم الإبلاغ مرّات ومرّات؛ حتي لا يتغيّب أحد ممن سيقومون بذلك الواجب من صلاة على الجنازة ثم تشييعها إلى مقرالمقابر شرق النيل كعادة توارثها الأجداد.

رغم وجود ما يسمح من أراضٍ على أطراف القرية إلا أن أحدًا لم تروقه فكرة إنشاء مقابر قريبة، ستجعل ما يتكبده المشيعون وأهل المتوفى أقل في الوقت والجهد، و كذلك عدم تأخير من يموت ليلاً إلى الصباح، لعدم عمل المراكب الشراعية التي تعبر بهم إلى الجانب الشرقي للنيل ليلاً، وبرغم ما يحيط بتشييع الجنازة من جهد؛ فبعد عبور النيل يتوغلون داخل الجبل بمسافة لا تقل عن كيلومترين سيرًاعلى الأقدام، فلابدّ من المشاركة، فعلى أقل تقدير يذهب من كل عائلة مجموعة تمثل فروع العائلة، حسب بيوتها، وغالبًا ما يكون من الشباب والشيوخ الكبار، فحمل النعش والسير به سواء في داخل شوارع القرية لتجميع من تأخر من المشيعين بسماعهم إنشاد قصيدة

البردة في مقدمة الموكب بصوت أحد كبار القراء في القرية ويشاركه الإنشاد بعض الرجال من المسنين الذين لا يستطيعون حمل النعش، أو القراء الأصغر سنًا، فيطوفون الشارع الرئيسي للقرية بداية من بيت المتوفي حتي الوصول إلى مدخل القرية، حيث تنتظر الجرارات الزراعية بمقطوراتها، لتحمل المشيعين إلى البر الغربي من النيل، حيث يتجمعون بمجرد البلاغ عند مدخل القرية في انتظار الموكب الجنائزي؛ لتستكمل الرحلة ويظلون في انتظار عودة المشيعين بعد الدفن للعودة بهم إلى القرية، حيث يكون قد استعد الشيخ عبدالرحيم بأجهزة مكبرات الصوت الخاصة به للقراءة لمدة ثلاثة أيام بعدما كانت أسبوعًا كاملاً؛ حيث ترص الدكك المستعارة من البيوت المجاورة لبيت الميت في الشارع انتظارًا لتوافد المعزين؛ سواء من لم يشارك في التشييع أو من شارك أو من يأتي مجاملة من القرى المجاورة، بينما يكون البيت الصغير خاصًا بعزاء السيدات.

الأرض الرملية في اعتقادهم أفضل في الدفن من الأرض الطينية وبما بها من احتمالات وجود تسريب للمياه الجوفية التي إن لم تؤثر على مبنى المقبرة سوف تؤثر بالرطوبة داخلها على جثث ورفات الموتى، رغم وجود جبّانات في القرية ظهرت آثارها من العظام عندما تم توسعة المسجد الغربي، وكانت تعرف للمنطقة بذلك الاسم عند

المتقدمين في السن، وكذلك وجود جبانة وسط الزراعات خلف القرية المجاورة لها لا يفصلها عن المباني إلا شارع صغير بعد ما كانت في أطراف القرية الخلفية، فربما يرجع ذلك لكون القرية تعود تاريخيًا لعصر الفراعنة بدليل ما وجد بها من آثارحسب ما انتشر مؤخرًا عند حفر فرج نجيب لبئر يستخدمه كدورة مياه؛ فوجد ما ارتفع به من حالة الفقر إلى عداد الأثرياء بعدما اشترى سيارة ميكروباص لولده نجيب، وبعض قطع الأراضي الزراعية وبناء بيت كبير على أول القرية، وكذلك من اقتسم معه من جيرانه سواء مسلمين أو مسيحيين، فالمعتقد العام أن الدفن في الجهة الشرقية من النيل أفضل كملوك الفراعنة.

منذ أن أعلن مؤذن المسجد المقابل لمنزله، والمنسوب إليه اسمًا متداركًا بين أهالي القرية (جامع الحاج علي) بصوت مؤذنه الشيخ بدوي وفاة الحاج على أبو حسانين، بعد صلاة العشاء بساعتين تقريبًا فتبعته مساجد القرية الستة في الإبلاغ منوّهين أن خروج الجنازة إلى المقابر سيكون في السادسة صباحًا.

كان اليوم القادم هو يوم الخميس، يوم سوق المركز، الذي ينتظره الجميع أسبوعيًا، فتجار الماشية يجمعون طوال الأسبوع ما سيبيعونه في السوق من أبقارٍ وأغنامٍ وماعزٍ سواء من القرية أو من

غيرها بمقدمٍ بسيطٍ من السعر لحين بيعها، وتسديد باقي الثمن يوم السوق مساءً، وكم من موعد لتسليم أموال لتجار من قرى أخرى، أو جلب حصيلة بيع سابقة كانت على سبيل التجربة للتأكد مما وصفه التاجر من ميزات أو ظهور عيوب ربما أنكرها تدليسًا لإتمام الصفقة، فيجوب التاجر قريته والقرى المجاورة له وعن رضا تام من زملاء مهنته ليقدر ثمن قطعة ماشية أو يشتري أو يكون في فترات الدميرة وقت ندرة العلف الأخضر فتدمر أجساد البهائم ويصاب سوق الماشية بالركود؛ فلا يبيع ولا يشتري، وكذلك تجار الغلال، الذين تنشط حركة تجارتهم أيام حصاد المحاصيل أكثر، ولكن في غيرها تكون لفك ضائقة مالية للبائع عندما يبيع من خزين غلاله الذي يدخره للموسم المقبل أو لشراء تقاوي محصول جديد سيزرع، حتى السيدات اللاتي يخرجن لبيع ما زاد عن حاجاتهن من زبدٍ، وجبنٍ، وبيضٍ، وطيور، وشراء ما يلزم منازلهم من مستلزمات لا توجد بالقرية، وإن وجدت تكون باهظة الثمن، أو ذات جودة ضعيفة، فالسوق بالنسبة لهن ستر للسلعة من كشفها أمام جارتها، فتصيبها عين إحداهن فتفسد فالسوق أفضل، وكأنه مازال على هيئته القديمة من تبادل سلع بسلع فما تبيعه تشتري به منتجات أخرى بنفس القيمة أحيانًا وقليلاً ما وفّرت بعض الجنيهات لنفقات منزلها في أيام مقبلة.

انتظار السوق والإعداد له يتطلب ممن ينوي الذهاب إليه بائعا وقتا طويلا وربما يكون من عصر اليوم السابق له كانتقاء سلعته وإزالة عيوبها وربطها والاتفاق مع سيارة أو حمل السلعة إلى موقف السيارات عند مدخل القرية عن طريق حملها على حمار أو على الأكتاف حسب حمولتها، كذلك التفكير في المكان المناسب لعرضها إن لم يكن لها مشتر دائم تذهب إليه، وكلما بكرالبائع كان أفضل لضمان سرعة البيع قبل قدوم غيره حاملا نفس سلعته، ولكن كما يقولون (حسن السوق ولا حسن البضاعة).

السيارات تظل تذهب وتجيئ منذ السادسة صباحًا وحتى الثانية ظهرًا محملة بالركاب وسلعهم المباعة والمشتراة، فيكون يوم رواج للجميع، حتي الأطفال لا يحرمون من نفحة سواء ما يطلقون عليه حلاوة البيعة أو ثمرة فاكهة من بائع زيادة عن الوزن المطلوب، والتمتع بركوب السيارات أو الحصول على (قمع جلاّب) كرهًا عن الأم، وعلى أقل تقديرللهروب من الذهاب الى المدرسة يومًا بادعاء مرض أو نحوه، فيستعد سائقي السيارات ليوم الخميس منذ مساء الأربعاء؛ فتتوافد لحجز أسبقية دور لتحميل الركاب، أو الاتفاق مع أحد التجار لنقل ما لديه من سلع بعيدًاعن الدور، فلا يرجّحون المشاركة في تشييع الجنائز، فمشاركة السيارات في الجنازة ستكون مصدر

خسائر لأصحابها في الأيام العادية لعدم تحصيلهم أجر نقل المشيّعين من وإلى القرية، فمن العار أخذ أجر في يومٍ كهذا؛ فكانوا يتجنّبون الظهور بالموقف لعدم الحرج حتي يمر موكب الجنازة، ولكن الخسائر هذه المرّة كثيرة، فاليوم الذي ينتظرونه ويعدون له طوال الأسبوع،فقد بركته؛ ويكفي فقد من سيذهب للتشييع، فالحاج علي ستكون جنازته كبيرة وستضم أغلب الرجال، حتى النساء ربما لا يذهبن للسوق فواجب العزاء لزوجته وبناته وزوجات أبنائه أولى، لذلك فأجرة توصيلهم إلى السوق و منه قد ذهبت إلى غير رجعة.

كل العائلات عزمت على المشاركة في هذه الجنازة بأكثر من رجل من رجالها، فالحاج علي غير كونه الإمام العالم بالمسجد القديم بالقرية، إلا أنه مأذونها، غير ما يجمع بين عائلته وأغلب العائلات من صلات مصاهرة أو جوار، وما به من حسن التعامل مع الناس، وابتسامته التي لا تفارق وجهه، وكم من أمانات وأسرار للناس يحفظها، بالإضافة إلى كونه من رجال الطرق الصوفية الكبار، وسيحضر من خارج القرية الكثير من أبناء الطريقة وأخوة العهد، فلابد من المشاركة بشكل لائق لكل العائلات أمام الغرباء على الأقل، فالمجاملات في العزاء والمواساة أفضل بكثير منها في الأفراح والمناسبات السارة.

لم يكن على استعداد لتشييع الجنازة معهم، فهو ينتظر يوم الخميس ليستيقظ متأخرًا بعض الشيء بعد أيام يخرج فيها مبكرًا من القرية للمركز؛ ثم المحافظة ثم يستقل السيارات المتجهة إلى الجامعة ليلحق بالمحاضرات التي تبدأ من الثامنة، وبعد عودته يوميًا في حوالى الثالثة عصرًا يبدل ثيابه ليذهب إلى الحقل ليتابع أعماله، فوالده الذي يعمل بالقاهرة وأخوه الأكبر الذي يؤدي واجبه بالخدمة العسكرية تركا له وعليه تلك المسؤولية الكاملة عن الحقل والبيت والأخوة الصغار، بالإضافة كذلك عن تفوق ينتظرونه منه آخر العام، لا ينسى يوم أن قام بدريس القمح ليلاً ونقله إلى المنزل مع بداية النهار ثم استبدل ملابسه وتوجه إلى امتحان آخر العام الماضي فكان يكتب بعض الإجابة ثم يغلبه النعاس؛ فيوقظه المراقب ليستكمل ثم ينام مرّة أخرى فيوقظه ظنًا منه أنه كان يذاكر طوال الليل فقال له ناصحًا: (ابقى ذاكر من قبل كدا، وتعالى الامتحان فايق مش تسهر للصبح وتيجي تنام هنا) ضحك من استنتاج المراقب وأخبره أين كانت سهرته فتعجب المراقب واعتذر له.

هذا إلى كونه يميل لتشييع الجنائز التي تخلو من المفاخرة، فكم كان حزينًا عندما عاد يومًا من الجامعة ووجد جنازة تتأهل للخروج من القرية فعزم على تشييعها قبل العودة للمنزل، ولكنه تفاجأ بعدم وجود

أي جرارات عند مدخل القرية بحجة انشغالهم في موسم دريس القمح، وكذلك عدم وجود مشيعين بالدرجة التي يراها دومًا فكان العدد بالكاد لا يتجاوز الخمسين، وأغلبهم من كبار السن الذين لا يستطيعون حمل النعش، أو مساعدة المراكبي بالتجديف حال سكون الهواء، ولعدم وجود ما ينقلهم إلى شاطئ النيل، ساروا حاملين النعش لأكثر من كيلومتر تقريبًا، وعندما أحرج هذا المشهد أحد سائقي السيارات فهرع ليلحق بالجنازة طالبًا أن يركب أهل الميت بالنعش فقط فالسيارة لا تتسع لأكثر من عشرة أفراد، وقتها غضب عمه صابر الديب وأقسم إن لم تحضر الجرارات لنقل الجنازة كغيرها ليذهبن به سيرًا على الأقدام، فكيف يكون هذا تعاملهم مع رجل فقير، رغم خروج جميع الجرارات والسيارات أيضًا منذ أيام في جنازة شقيق العمدة، هل أصبح الواجب حصرًا على المجاملات والنفاق؟ أم أن عبد الفتاح مات مقتولاً أو افتضح فلا يشيعه أحد؟ وبالفعل سار إلى منتصف الطريق إلى أن أدركهم جرارين فما ركب حتي وبخهم على فعلتهم المشينة.

(أبقى أروح العزا بعد المغرب، واللي يروح من اعمامي يسد، يعني هو مش هايتدفن غير لما أروح أنا) قال تلك الكلمات ردًا على أمه التي ذهبت لتؤكد عليه الاستيقاظ مبكرًا لتشييع الجنازة فالمرحوم يعد عمًا لها، وعليه أن يكون مكان والده وأخيه الغائبين في هذا اليوم، فكثير

من الجنائز يهملها متعمّدًا وخاصة تلك التي تكون يوم إجازته، حاول إبعادها عن الفكرة، فأفهمها أن الأرض لابد من تسميدها غدًا، فقد اتفق مع صاحب ماكينة الري ليروي لهم عصرًا، بعد تأخره يومين بسبب انشغاله في الدراسة من ناحية ولتوفير ما يكفي الماشية يوم الري من طعام؛ فترددت في الإجابة و تركته قائلة: (اللي تعرفه اعمله).

كثيرًا ما كان يعود من الجامعة ليبدل ثيابه ثم يعود للحقل ليتابع مسئولية الزراعة والماشية مع إخوته الصغار الذين يقومون بعمل ما يستطيعونه إلى أن يأتي فيكمل ما تم الشروع في عمله، فكان يجعل بعض كتبه في الحقل لمراجعة دروسه وقت الفراغ، كان يجالس من هم في عمر والده من جيران الأرض؛ فيحدثهم بعضًا مما تعلم، ويكتسب من حكاياتهم بعض الخبرات والمهارات التي لا يتعلمها إلا في مدرسة الحياة، وكان أقربهم إليه رجل تجاوز الستين من العمر؛ رغم امتلاكه لقلب طفل في النقاء، فبعد وصوله مباشرة يجده قد أشعل الحطب ليصنع الشاي المعتق الذي كان يطلق عليه "المزاج العالي" وكذلك يستعد لرص المعسل فوق حجر الجوزة ليتقاسما أنفاس الدخان أثناء الحكي، لم ينطق اسمه مجردًا من لقب، رغم كونه أسن من والده فكان دومًا لا يناديه إلا بالأستاذ، وما من صلاة تحين في اجتماعهم إلا

وقدّمه إمامًا عليهم رغم غضاضة البعض من رواد المجلس مما شكل بينهما صداقة قوية، كأنها مر عليها عقود من الزمن مما جعل الرجل يفكر جدّيًا في مصاهرته ولولا الحياء لطلب منه مباشرة أن يتزوج إحدى ابنتيه.

كان أبو عبدالباسط بحكم سنه وعائلته يعرف تاريخ كل عائلات القرية وأسرارهم، وعندما يتحول الحوارعن العائلات، كان يبدأ بعائلته وما بها من أشخاص لا تفيد بل تضر اسم العائلة، فمنهم ابن عمه الذي انخدع فيه فزوج ابنته الكبرى لابنه الشيخ قارئ القرآن الخطيب والعالم، فلم يراعي حق الله فيها فأهانها وطلقها رغم انجابهما لابنها الذي قام بتربيته كابنه وليس حفيده، ثم لم يكتف بذلك بل سرق مصاغها واشترى به مكبرات الصوت التي يقرأ فيها في الحفلات والمآتم فيقول ضاحكًا متسائلاً في حيرة: (أنا مش عارف يقرأ كيف كلام ربنا في مكرفون تمنه مسروق من حق ولية؟)، ثم يردف قائلاً: (عارف يا أستاذ، المرحوم أبويا لما كان حاسس إنه غريب بين العيلة من عمايلها اللي ماترضيش حد دعى ربنا وقال اجعل تربتي بعيد عن تربتهم يا رب، تصدق يا راجل يروح يحج وبعد ما يخلص يموت هناك ويتدفن جار النبي في المكان الطاهر دا، والله كنا بنفرق شربات في العزا بتاعه، وابقى اسأل أبوك).

بعد صلاة الفجر هرول (صابر) إلى منزله ليتمكن من شرب كوب من الشاي وحجرين من المعسل قبل انطلاق موكب جنازة الحاج علي، فيكفي ما سيلحق به من تأجيل عرض ما جمعه من ماشية لبيعه في السوق وعليه أن ينتظر للسوق القادم، أمر زوجته أن تجعل الأولاد يحضرون ما يكفي لإطعام كل ما بالحظيرة لحين عودته، فربما عاد من الجبل إلى السوق ليحصل على بعض ما له عند التجار، أو يحضر أحدهم لمعاينة ما لديه، فلا يصح أن يتغيّب عن تشييع الجنازة بسبب السوق؛ فالرزق من الله وربما كان في التأجيل نجاة من حادث أو أمر ما لا يعلمه إلا الله.

أعدت له بعض الطعام سريعًا لحين احتراق الفحم الذي سيستخدمه في شرب الجوزة، وذهبت لإيقاظ أولادها للخروج بالماشية إلى الحقل من طريق غير طريق سير الجنازة، حتي لا ترمد عيونهم إذا شاهدوا النعش كما علمتها أمها، وكذلك ليتمكن أحمد من الذهاب مع جمال ويعود قبل موعد مدرسته في الفترة المسائية.

تجمّع الرجال عند منزل الحاج علي، وعلى المصاطب المحيطة بجدران المسجد المواجه للمنزل؛ لحين انتهاء أولاده من تجهيز الجثمان، خرج النعش محمولاً على أكتاف أولاده الأربعة (طه، محمد، سعد، ربيع)، بينما إخوته وأولادهم والأحفاد كانوا يحيطون بهم حتى

دخول المسجد لصلاة الجنازة، بينما نساء العائلة وجاراتهن من المجاملات قد انتحين ركنًا بعيدًا عن الرجال وبدأن في الصراخ والولولة لحظة خروج النعش محمولاً.

الماء البارد جعل كثير من الناس ممن لم يحافظ على وضوء الفجر ينتظر بالخارج، رغم علمه بثواب الصلاة على الجنازة ولكنه اكتفى بثواب التشييع فغيره لم ينل هذا ولا ذاك، فربما أصيب بنزلة برد تقعده عن العمل يومين أو ثلاثة، فالهواء يتسلل من بين طيات الملابس العديدة فوق الجسم كأنه يد خفيفة للص محترف.

(اصطفّوا ثلاث صفوف أو خمسة، صلاة الجنازة فرض كفاية وكيفيتها أربع تكبيرات؛ بنية صلاة الجنازة على من حضر من أموات المسلمين، التكبيرة الأولي تقرأ الفاتحة، والثانية الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام بالصيغة الإبراهيمية، أي نصف التشهد الأخير، والثالثة الدعاء للميت، والرابعة الدعاء لكل الأموات ولنفسك) قالها الشيخ عبدالرحيم ثم توجه إلى القبلة رافعا يديه: (الله أكبر).

عند سماع صوت الشيخ عبدالرحيم بمكبرات صوت المسجد، هرع من كان ما يزال في بيته ناحية المسجد، فما تبقّى سوى دقائق قليلة لبدء مراسم تشييع جثمان الحاج علي، حتى كان من بالخارج منتظرًا أكثر من المصليين بداخل المسجد، بعد انتهاء الصلاة، توافد الجميع

ناحية باب المسجد منقسمين لقسمين ناحية مصراعيه، تاركين بينهم طريقا يخرج منه النعش والمصلين، خرج الشيخ عبدالرحيم ومن معه من القرّاء، وبعض المسنين من الرجال الذين قد أطلقوا اللحى، لإثبات ورع يكذّبه ما يعرفه البعض من خلال حكايات (جلال الحلاق)، كما قالها علنًا ذات يوم لمن تدخل في الحديث عن الدين دون علم: (الحرامية القُدما بقيوا عُلما)، فضحك منه من استفتاه.

بدأ الشيخ في إنشاده ليتحول القرّاء إلى جوقة أو كورال يردد له مذهب أغنيته، فهو الأن صولو، أو سوبرانو الحفل:

يا رب بالمصطفي بلّغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صلي و سلم دائمًا أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسمٌ من أعظم القسم

مولاي صلي و سلم دائمًا أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

كان الشيخ الشاب صلاح متعجبًا من ما يفعل هؤلاء، فرغم ما مرّ به من جنائز خلال عمره مشابهًا لذلك إلا أنه قد تعلم ما يجعله يستنكر ما يحدث، فما يعرفه أن من آداب اتباع الجنازة الصمت، والتشييع معناه السير خلفها، لا تقدمها بغناء، حتى ولو كان امتداحًا للنبي،

ولكن ما بيده شيء، فكيف سيصمت هؤلاء لو تكلم هو؟ ضرب كفًا بكف و تأخر عن النعش ليشارك في حمله.

كان الشيخ عبدالرحيم لا يود أن يترك مجالاً للشيخ الشاب، رغم كونه على يقين من تأكده مما يقول؛ نظرًا لما حباه الله لصلاح من نعمة العلم بالجامعة، وهو الحاصل على الثانوية الأزهرية بالكاد وبعد أن تقدم في العمر، بعد العمل في الزراعة لزمن طويل، فأغلب ما لديه هو مجموعة الخطب المدونة على أوراق لكل المناسبات، يقرأها على الناس كل جمعة وإن كان معظم المصليين يرغبون في الصلاة خلفه لسرعته التي اشتهر بها، فالخطبة والصلاة وما يعقبها من نوافل لا يجاوز النصف ساعة أو أقل، وكذلك في أيام رمضان ينتهي من العشاء والتراويح والشفع والوتر والقنوت قبل أن تنتهى المساجد من الركعات الأولى في التراويح، لكنه لا ينسى أنه من قام بتحفيظ القرآن الكريم لذلك الشيخ الشاب الذي لا يجاوز عمر أولاده، فكيف له أن يظهره بمظهر الجاهل أمام الناس؟، فبعد إحراج لمرتين متتاليين، قرر الشاب التزام الصمت احترامًا وتقديرًا للشيخ عبدالرحيم، فما هي إلا سنوات ويتقاعد بعد بلوغ السن القانونية وربما يتم تعيينه هو كإمام للمسجد فيكون رئيسًا له في العمل فيزيد ذلك من الحرج بينهما بعد ما غضب وتأثر نفسيًا من تعليق الشيخ عبدالرحيم ردًا على من أخبره بنقيض

قوله على لسانه فقال (هي الجعية هتعلم أمها الرعية؟ دا كتب اتعلمناها قبل ما صلاح أفندي دا يتولد).

كان كلما اشتكي من تلك الأفعال لأحد ما كان يجد غير النصح بعذره لكبر سنه، فكان يداعبه والده بقصة الشيخين الكبير والشاب الذين ذهبا للقراءة في مأتم، ففي وجبة الغداء أراد الشيخ الكبير أن يأكل أغلب الطعام وحده، فطلب من الشيخ الشاب أن يقص عليه قصة سيدنا موسى، فقام الشيخ الشاب بسردها كما وردت في القرآن والكتب، منذ ولادته حتى ما بعد هلاك فرعون والتيه في صحراء سيناء، وما أن انتهى من حديثه وجد الشيخ الكبير قد التهم كل ما على المائدة من طعام، فأردا الشيخ الشاب ردها في طعام العشاء، فقال عندما جلسا: (يا مولانا قلنا قصة سيدنا يوسف) فرد الشيخ الكبير بمكر: (ماتشغلش بالك، دا عيّل تاه ولقيوه)، كان يضحك من حكمة القصة وحسن سريرة الشيخ الشاب الذي لم يتمرس على ما يفعله المخضرمونمن المشايخ.

كان يجلس مع عصام بحكم تقارب العمر والثقافة؛ فيناقشه في أمور كثيرة، ويتبادلان الآراء حول ما يجري من أحداث لابد من إقناع الناس بعدم وجود سند شرعي لها في القرآن والسنة النبوية أو إجماع العلماء، كقضايا تشييع الجنائز وما يتم من إنشاد البردة أمامها، خاصة بعد ما وجه من انتقادات كثيرة لصمتهم حيال ما يتم من ابتداع أشياء

ما لها أصل في العقيدة، وما تم من اتفاق بينه وبين الناس ذات يوم محدّثًا لهم بناء على طلبهم في غياب الشيخ عبدالرحيم لارتباطه بالقراءة في مأتم؛ فأوضح لهم أنه من السنّة أن تشيع الجنازة أي يسير النعش وخلفه الناس لا العكس كما يتم وكذلك لا يوجد ما يسمى بالمشهد فالحديث الشريف صريح بالأمر بالصمت عند اتباع الجنائز، وبعد اقتناع المصليين، حدث أن توفي رجل واتفق على أن يكون التشييع كما قال الشيخ صلاح، ولم يمر سوى يومين على الواقعة وتوفي صهر العمدة فتوافد المشايخ للسيرأمام النعش منشدين قصيدة البردة وكأنما هم في حفل أوبرالي، فما كان من نجل الرجل المتوفى إلا أن قام في المسجد قائلاً: (دي بلد منافقة ووجاهية، هو عشان نسيب العمدة غنوا له وأبويا الغلبان رحنا بيه سوكيتي، هي بقيت بالفلوس يا اللي تعرفوا ربنا؟) حاول إقناعه أن ما تم في جنازة والده هو الأجدر أن يكون في كل الجنائز لكن هيهات، فالعقول قد تبرمجت على قول واحد وهو قول الجاهلية (هذا ما وجدنا عليه آباؤنا)، كان يطلق عليهم حي بني إسرائيل لما يرى منهم من جدال، ثم يعذرهم بقلة علمهم.

(٢)

كرامات

سار الرجال مشيعين للنعش، ما هي إلا خطوات قليلة لا تتجاوز مقدار دقيقتين فقط، إلا وزاد الهرج حول النعش مرددين هتافات وتكبيرات جعلت من سبق يتراجع لينظر ما جرى، كان النعش لا يريد التحرك حسب وجهة الحاملين له، بل يريد أن يسير كما يرى هو أو أن يثقل عليهم، فلا يستطيعون السير به، زادت الهتافات والتكبيرات والتف حول النعش، مريدين كثيرين من أتباع الطرق الصوفية مرددين إنها كرامات الأولياء والصالحين، مدد يا أولياء الله، تبدل صراخ النساء اللاتي سرن خلف الموكب إلى زغاريد، هرع أحد المريدين إلى منزله لإحضار البيارق، والطبول التي يستخدمها في زفة الموالد وبدأ في الدق على الطبول، ليتحول الموكب الجنائزي لزفة بالنعش لذلك الولي العارف بالله، صاحب الكرامات الذي سيحدد بنفسه موضع الدفن ليكون الضريح الخاص به ويبنى فوقه مقام سيدنا الولي.

بمجرد أن بدأ الهتاف والزغاريد وتكدس أغلب المشيعين على النعش لم يدرك السابقون له أو المتأخرون عنه ماذا حدث، كثير من

النعوش كانت تتوقف أحيانًا أثناء التشييع عند مدخل شارع به صديق أو قريب، ثم تكمل بعد ما يقول واحد من الحاملين النعش (سير واتوكل على الله) كأنه يخاطب الميت الذي يستجيب فيتحرك بعد توقفه أو يخاطب حامل النعش من الأمام ليكمل المسيرة، لكن هذه المرة لم يكن هناك متسع من الوقت لفهم من قال لمن ومن رفض الاستجابة فتحرك في اتجاه غير المرسوم للمسيرة المعتادة، ولكن كيف يوجه المحمول حامله بثقل لينزله أو باتجاه ناحية اليمين أو اليسار.

كان عصام ما يزال نائمًا، حتي وصله عبر إخوته الصغار ما قد حدث من ظهور الكرامات التي جعلت الناس تهرع للمشاركة في الموكب؛ رغم كونهم كانوا لا ينون التشييع معتمدين على أحد أفراد أسرتهم وبقائهم للقيام بأعمال الحقول، فنهض مسرعًا ليرى بنفسه فطوال سنوات عديدة لم تسمع القرية ولا القرى المجاورة لها بأي حدث كهذا، حتى ما يوجد بالقرية من أضرحة، لا يعلم أي شيء عن ساكنيها من الأولياء، ولا غيره، حتى الأجيال السابقة له، لا تعلم عنهم أي شيء سوى ما تواتر إليهم من أسماء هؤلاء المشايخ فقط، فقد مرعلى حياتهم البرزخية سنوات طوال لا يستطيع أحد من الأحياء تحديدها، وما سمع عن تلك الأمور من قبل، ولم يكن هناك مناسبة لذكرها أو ورد عنها بعض المعلومات في كتاب صادفه، تقدم ناحية

النعش مزاحمًا الحاملين وملتمسي البركات من الولي الجديد، ذلك الذي يعرفونه جيدًا وعاش معهم وأمّ العديد منهم في الصلوات وخطب الجمعة والعيد لعمر طويل، وعندما تولى مأذونية القرية زوّج العديد منهم، بل هو ذاته، كم استعار من مكتبته بعض كتب التفاسير للمذاكرة منها، ولكن ما هي الكرامة التي صنعها، ظل قريبًا من النعش بدرجة تكفل له الرؤية عن قرب لأي كرامة جديدة تصدر عن مولانا.

لم يذهب أي من رواد سوق المركز ذلك اليوم مطلقًا سواء للبيع أو الشراء، فما حدث لم يحدث من قبل على الأقل في أجيال سابقة، والمشاهدة والمتابعة أفضل من السوق الذي يتكرر كل أسبوع، فمن يدري هل سيتكرر مثل هذا مرة أخرى في العمر أم هي الحالة النادرة التي منحها الله للقرية دون غيرها، فالنعش يسير بالناس ليدخل بيوتًا دون غيرها، وربما يدخل من باب، ويخرج من آخر بكل هذا الكم من الملاصقين والحاملين، وكلما صادف مسجدًا دخل بالناس وكأن من بداخله يودّع المساجد والبيوت والأصدقاء، أخذ يجوب شوارع القرية حتي وصل إلى الجانب الغربي منها بعد أكثر من ساعتين من التجوال بين الأزقة و البيوت التي لا يصل إليها إلا تائه.

كان من بالحقول ممن أرسل مندوبًا عن أسرته سمع بالأمر فهرع إلى العودة إلى القرية مرّة أخرى يدفعه الفضول، كانت الأعيرة النارية

تطلق في الفضاء كأنما موكب الجنازة هو عرس لأحد الأعيان، فلم يجد أصحاب السيارات إلا ما توقعوه من ضياع يوم منتظر بلا عمل، فليته كان تحرك ناحية المقابر كغيره وانتهى الأمر، فنهار الشتاء قصير، وها هو الظهر قد أوشك على الأذان فمن ذهب ذهب ومن جاء جاء.

القرية بعد اختلاط جميع عائلاتها بالمصاهرة وظهور جيل جديد يشترك بين عائلتين للأب والأم إلا أن العائلات الأساسية كان من عاداتها التجمع في منطقة واحدة، فكان أولاد الزيني يقطنون الجانب الشرقي من ناحية الشمال، وأغلبهم يعمل بالجزارة وتجارة الماشية فضلاً عن الزراعة وتجارة الأعلاف، يليهم عائلة بركات في الشمال الغربي، ومنهم شيخ البلد الشيخ مصطفى صاحب الطاحونة القديمة، ثم الجنوب الغربي بيت المقدس إسحاق، وهو يكاد يختلف في طباعة عن الناس حيث يميل إلى الانعزالية لأولاده وأحفاده اتقاءً للمشاكل فدومًا يقول:(الاختصارعبادة) وبجواره عائلة همام، ومنم المأذون السابق للحاج على الحاج أحمد همام وقد ظهر نجمهم بسفر شباب منهم للسفر بالسعودية للعمل وعادوا ببعض الأموال التي روجت لتجاراتهم بالبقالة، وبعض منهم يتاجر في الماشية، لكن سمعتهم تلوكها الألسنة لما يصدر منهم من أفعال مشينة تسببت في مقتل بعض رجالهم، والجنوب الشرقي أولاد الديب أو كما يطلقون عليهم الديابة،

وهم فرعين أبناء صالح وأبناء مرزوق، ويعملون بالزراعة والتجارة وبعضهم يعمل في القاهرة، ولهم صلات قرابة ومصاهرة مع جميع العائلات لكثرة عددهم ولما اشتهر عندهم من التعدد في الزواج، وفي المنتصف عائلة راشد التي ينتمي إليها الحاج علي بجوار الكنيسة، وأغلبهم يعمل بالزراعة وتجارةالغلال وفرع منهم يعمل بالحلاقة والتمريض كغيارات الجروح وحقن الدواء، وبجوارهم عائلة المقدس داوود، ومنهم شيخ البلد عن حصة المسيحيين، الشيخ شحاتة وهو رجل محبوب من الجميع ويشارك في كل جلسات الصلح وأبناء إخوته دلال القرية ومسّاحها ويعمل أولاد المقدس في أعمال وظيفية وبعض أعمال الحياكة ليلاً، وبيت العمدة حامد وأخيه الحاج شوقي، وأغلب عائلته تقيم بالقاهرة لمناصبهم وأعمالهم الحرة في التجارة.

كان لكل عائلة ما يجمعها كزمام جغرافي داخل نطاق أوسع وهو القرية، ولكل عائلة كبراءها وأصحاب الكلمة بها ورغم ما تم من مصاهرة بين العائلات، إلا أن تمسّك كل عائلة بطباعها ما زال كما هو، بل ربما يحدث أمر ما بين شخصين، فتنقلب عائلة على أخرى فيتصارعان ويكشفان ما خفي من أسرار وخفايا قديمة.

منذ سنوات كاد يصل الصراع بينهم أوجه أيام الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فالجانب الغربي من القرية معظمه من مريدي طريقة

صوفية غير التي يتبعها الجانب الشرقي، ويرى أنه على صواب فيمجد شيخ طريقته التي ينتمي إليها، وكان يوم مرور موكب الشيخ خليفة خلفاء الطريقه يثير صراعًا وصل لمرات عديدة إلى الاشتباك، مما جعل كل طريقة تجعل موكبها وشيخها في الجزء المؤيد فقط لتجنب حدوث كارثة مثل ما حدث من سقوط شاب من عائلة الزيني قتيلاً برصاص طائش من بندقية خاله، مما حول الاحتفال الي سرادق عزاء، وتم إلغاء الموكب من القرية نهائيًا لمدة عشرة أعوام حتي تم الصلح وجعل يوم لكل موكب دون التعرف له حال مروره في منطقة المؤيدين للطريقة الأخرى.

كان الحاج علي بحكم جواره لبيوت بعض المسيحيين ووجود منزله الذي تركه لولده الأكبر بجوار الكنيسة مشاركًا في كل أعيادهم بالتهنئة والزيارة بل كان صديقًا مقرّبًا من القس عوض كاهن الكنيسة، بل كان يتدخل للصلح بينهم في أي خلاف يقع وكان له منزلة رفيعة بينهم كعالم ورجل دين يتعامل بالإنسانية دون تدخل في معتقداتهم، سائرًا على منهج كلكم لآدم وآدم من تراب.

رغم تقدم المجتمع والدخول إلى مشارف الألفية الثانية إلا أن بعض الناس ما زالت مستمرة في العلاج البدائي بل أنهم قد قسموا تخصصات الأمراض فيما بينهم، فالمقدس منسي هو المتخصص في

العظام والكسور، فيقوم بعمل جبائر من الصابون المبشور والبيض والدقيق، مع تدعيمها بأجزاء من جريد النخيل، ويرد المفاصل الخارجة إلى موضعها بدهانات الزيت والخل وتدليكها، وكذلك أم محمد، متخصصة في الأطفال يحضرون إليها الطفل بعد انقطاع عموده كما يقولون فتكشف عن بطنه وتقبل سرّته ثلاث مرّات وإن كنت لا أعلم مفهوم انقطاع العمود ولا سر تقبيل السرّة أو شفطها بفم أم محمد ليتم بعدها شفاء الطفل، ولكن الأشهر في الأطباء البدائيين في القرية كانت حميدة، تلك الأرملة التي لم تنجب أو كما قيل أن صغارها كانوا لا يكتملون في بطنها، فكان يناديها الجميع عمتي حميدة هي أخت الشيخ عبد القادر صاحب الكتاب والمعلم الأول للقرية، لكنها كانت لها ميول أخرى بجوار طب العظام الذي نافست فيه المقدس منسي وأثبتت قدراتها، فكانت تقتني فحول الجديان لتلقح إناث الماعز مقابل بعض كفوف الذرة التي يأكلها جديانها، لكن ما جعل شهرتها تذيع بين الناس هي وجود ثلاثة أضرحة الأولياء في منزلها، وكأن المنزل هو مقر الولاية والحجرة المتبقية لنومها ربما تكون ضريحًا رابعًا، فلديها مقام الشيخ ابراهيم، ومقام الشيخ محمد، ومقام الشيخ سعيد، أكبرهم هو مقام الشيخ إبراهيم الذي تعلوه القبة، ولكن المقامين الآخرين أضرحة في حجرات المنزل، أوصت ابن أختها بمراعاة ما تملك من أرض زراعية فهي بعد موتها له وأولاده دون غيرهم، فأبناء الشيخ

عبدالقادر لديهم ما يكفيهم، كانت حميدة دومًا تصبغ شعرها الأبيض بالحناء ليبدو وكأنه ذهبي اللون وكذلك كفيها مؤتنسة بجوار الأولياء، وبعض من يقوم بخدمتها من الجارات أو المترددات لزيارة أولياء الله في منزلها، وتلك التي استضافتها للمكوث معها للتسلية والتخفيف من معاناة الوحدة فاطمة الندابة.

عند دخول النعش لمنطقة عائلة همام كان الترقب والحذر من الجانبين، حيث أعلن كبير العائلة عبدالله أن ما حدث ما هو إلا دجل و نصب، ولا يمت للولاية بشيء، فمن يكون الحاج علي هذا ليصير وليًا؟ إن كان لحفظه القرآن الكريم فكم من عالم حافظ قارئ قد مات دون أي كرامات مفتعلة مثل هذه، وأقربها الشيخ عبدالقادر ذلك الرجل العالم الذي علّم القرية كلها كتاب الله، ولو كان على المأذونية؛ فوالده الحاج أحمد همام كان مأذون القرية من قبل علي، ولم يأت بما قيل أنه كرامة، ثم أين هي الكرامة في سير النعش محمولاً في شوارع القرية، فليتركوه ليطير فوق الرؤوس لنصدق، فما هي إلا حركات من الحاملين لإيهام الناس بباطل، وأقسم لو اقترب النعش من باب بيته ليشعلن به النار.

كان الغريب أن النعش لم يدخل المسجد المجاور لبيوت عائلة همام، ولا لأي بيت من بيوتهم، فيرى ذلك مؤيدو الولي أنه لم يرد أن

يدخل بيوتًا تمتلئ حقدًا وكراهية له منذ أن حصل على المأذونية بعد وفاة الحاج أحمد همام، وفشل ولده عبدالله في اختباراتها أمامه، وكذلك محاولات عبدالله الفاشلة أن يصير قارئًا للقرآن الكريم فلا هو بالحافظ ولا يمتلك صوتًا جميلاً، لدرجة أنه كان يشبه سلمان بائع الشيح الذي يمر بالقرية صباح كل جمعة بحماره الذي يحمل بضائعه من توابل، ثم ما تعرفه القرية كلها عن تلك العائلة من ما يشينها أخلاقيًا، فما لهم هم بكرامات الأولياء والصالحين وهم بعيدين كل البعد عن الدين.

أكمل الموكب مسيرته خارجًا من القرية بعد تجواله بكل شوارعها إلى قرية مجاورة تبعد حوالي ثلاثة كيلومترات قطعها الأهالي سيرًا على الاقدام، فكان في استقبالهم أهالي القرية بالبيارق والطبول ترحيبًا واحتفالاً بضيوفهم الذين قدموا ببركات وليهم الصالح لتحل على قريتهم أيضًا فقابلوا كرمًا بكرم.

النفس الصافية الريفيين عامة، ومن لم تصلهم رياح المدنية خاصة تميل إلى محبة الأولياء وتقطع المسافات حبًا ورغبة في زيارة أضرحتهم والتبرّك بها، فينتظرون موعد الموالد ويحسبون لها ويعدون العدة للسفر نحو أصحاب المقامات من قبل موعدها، وأشهرهم عبدالرحيم القناوي بقنا وأبوالحجاج بالأقصر والفرغل في

أبوتيج والفولي بالمنيا والحسين والسيدة والرفاعي بالقاهرة والبدوي بطنطا والغريب بالسويس وإبراهيم الدسوقي في دسوق والمرسي بالأسكندرية، كأعلام بالمحافظات، ولكل محافظة أيضًا أعلام مراكزها، ولكل مركز أعلام قراه كترتيب متدرج.

القرية بها عدد من الأضرحة لأولياء موزعة بكل مناطقها ففى الجانب الغربي من القرية يوجد ضريح لولي يقال أنه شامي الأصل من عكا ولا يعرف له اسم سوى نسبه لبلده الأصلي فهو الشيخ العكاوي، وبالقرب من منازل عائلة راشد والكنيسة مقام لولي يقال أنه جدهم واسمه ربح، بخلاف ما عند حميدة من مجمع الأولياء، لكن عميد الأولياء وبطلهم الذي يقام له مولد كل عام ويفتح للزيارة كل خميس وتأتي إليه النساء ظهر يوم الجمعة ب(غدوة) الأرز باللبن التى ينتظرها الأطفال كل أسبوع وأيضًا لم يكن له غير الاسم فقط الشيخ عُمار كما اشتهر نطقًا بضم العين وتسكين الميم والذي لا يعرف في أي جيل أسس ضريحه، إلى أن أفتى رجل أنه هو الصحابي عمار بن ياسر فصدق الناس على قوله وتغير ما كتب على المقام إلى الاسم الذي قاله الرجل.

كانت النذور أغلبها فقير كحال أهل القرية فمن ينذر أن يضع جنيها أو خمس جنيهات حال حدوث أمر يرغبه، أو أن تنذر امرأة

صنع غدوة الأرز باللبن حال ولادة جاموستها، أو صنع كسوة للضريح إن أنهى ولدها خدمته العسكرية سالمًا، أو عاد زوج من الخارج بسلامة وغنيمة، وكان لكل ولي خادم للمقام يطلق عليه النقيب، وهو من يقوم على أمر النذور وجمع المساهمات حال إقامة حفل لذكرى الولي أو تجديد دهان المقام أو غيره مع أخذ نصيبه منها بالتأكيد، وربما كان لسان حاله يقول الحي أبقى من الميت.

كان موكب الجنازة وما به من مفاجأة جمعت القرية كلها لمتابعة ما سيحدثه الولي الجديد من كرامات غير كونه يرفض الدفن ويسير بالناس إلى حيث يريد، فرصة لحسين لص الماشية الذي ما إن علم بذلك حتي استعد لسرقة ما يستطيع من أغنام وحمير من الحقول في غفلة من أصحابها فسار ناحية الجسر الغربي الذي يفصل بين زمام القرية ودوائر الإقطاعيين القدماء وما يفصل بينهما من شريط قطار نقل القصب من الزراعات ناحية المصنع، رابطاً القري التي تنتجه بالمصنع بذلك الشريط الذي تتقاطر عرباته يوميًا لتحمل الأطنان من أعواد القصب، انتقى حمارًا عفيًا فحمل عليه أحد الخراف، وأطلق ساقيه للريح ناحية السوق فالقليل اليوم أفضل، ربما كان الولي كرامة فلا أتحرك من موضعه، وكذلك كانت فرصه لقاء سالم بعشيقته صباح

في الزراعات دون خوف من رقيب يتربص فما بالقرية من أحد إلا وانشغل بما يجري من أحداث سواء كان من المؤيدين أو المعارضين.

(٣)

مولانا

عاد صابر الديب إلى منزله مهرولاً؛ ليستل سلاحه الناري فالكل يعرفه لا يترك عرسًا أو مناسبة في القرية، إلا ويجامل بإطلاق الأعيرة النارية ابتهاجا ومشاركة لصاحب المناسبة؛ بل يتفنن في أن يكون له اليد الطولى على الجميع، فهو كبير عائلة الديب، وممثلهم في أغلب الجلسات سواء للصلح أو اتفاقات الزواج أو التحكيم العرفي بين العائلات، وفي ذات الوقت كان قد عقد العزم على تفقد المنزل والحظيرة فربما حدث ما لا يكن في الحسبان فتسرق ماشيته فيصير حديث الناس، لكن من تراه يتجاسر على اقتحام الجانب الشرقي الجنوبي للقرية دون مبرر، فمنذ القدم والكل يعرف من هم أبناء الديب، حتى أنهم جعلوها مثلا يقال (اللي يقبل بعد المغرب الديابة تقطعه ومالوش دية) ولكن لابد من الحذر خاصة في ظرف كهذا، مرعلى المنزل فلم يجد أحدًا به، فانطلق بسلاحه ناحية الحظيرة المقامة بأفلاق النخيل وأعواد البوص اليابس على رأس الحقل.

صادف مروره ابن أخيه عصام الذي خرج عند انتشار خبر الولي الجديد وما أحدث من كرامات، فتحاور معه قليلا بشأن الزراعات ثم انطلق كل إلى بعينه، فما يشغل بال الشاب ليس مجرد فكرة المشاهدة وحسب بل ما تعلمه في الجامعة من أستاذي الفلسفة الإسلامية سواء علم التصوف أو علم الكلام، ورغم تطرق أستاذ علم التصوف إلى ذكر درجات الولاية عند المتصوفة إلا أنه لم يذكر أن مجرد دخول النعش محمولاً لمنزل ما أو عدة منازل يعد من كرامات الأولياء الصالحين، حتى وإن ذكرت الكتب ذلك فهناك من في القرية من هم أفضل من الحاج علي وكانوا أولى بتلك الكرامة حسب تفنيد العقل أيضًا، فهو لا ينسى يوم أن توفي الشيخ عبد العزيز إمام المسجد القبلي في شهر يوليو المشتعل صهدًا من شدة الحر إلا أن السحب اجتمعت لينزل المطر على المشيعين أثناء عبورهم لدفن الجثمان، دون اعتراض منه على الدفن، وما ظهر من بركة القرآن على أبناء الشيخ حال حياته، فالكبير داعية ومشرف على مستوى المحافظة وكان له دور بارز في مجال الدعوة خارج البلاد لسنوات طويلة معارًا من وزارة الأوقاف، والثاني يعد من أفضل القراء والثالث مؤذن المسجد، ولكنه لم يمتنع عن السير إلى المقابر ككل الموتى من أهالى القرية السابقين، وكذلك بحثًا عن إجابة لذلك السؤال المحير، لماذا لم يدخل النعش منزلاً من

منازل عائلة همام، ولم يدخل المسجد في منطقة سكنهم دون غيره من المساجد؟

كادت العصبية القبلية أن تنفجر حممها بين عائلة همام التي لا تقر بالحاج علي وليًا وصاحب كرامة وبين المؤيدين من أهل القرية؛ لدرجة أن أطلق عليهم البعض لقب أهل الحقد مما زاد من حدة الصراع وبث الأقاويل عن الحاج علي أنه كان زير نساء منذ شبابه، وكم سرق من القطن أيام كان وزانًا بالجمعية الزراعية للقرية، فكيف للص نجس الذيل كما يقولون أن يصبح وليًا يستعدون للاحتفال به وبناء ضريح يضم رفاته ثم يصبح مزارًا للأجيال القادمة؟، وكان الرد من المؤيدين أنه الحقد القلبي منهم فكبيرهم المأذون السابق الحاج أحمد همام لم يأت بكرامة حال موته، ونجله عبدالله الذي تقدم لاختبار المأذونية، وفشل أمام الحاج علي خريج الأزهر كان أيضًا وزانًا للقطن، والكل يعرف ماذا كان يفعل، بل الأدهى والأمر أن أغلب ما كشف عنه السر من جرائم الشرف كانت من نصيب عائلة همام دون غيرها، فهم يريدون إلصاق ما بهم من عيوب إلى الحاج علي حقدًا وبهتانًا لتفوقه للمرة الثانية عليهم.

بلغ الموكب حدود القرية الشمالية الغربية بعدما طافها كلها، بل ودخل بحامليه الأزقة الضيقة والمنازل التي لا يعرفها الا التائه كما

يقولون، كانت الوجهة نحو القرية المجاورة من ناحية الشمال على بعد ما يقرب من ثلاثة كيلومترات، وكان لصوت الطلقات النارية مردود إيجابي حيث تجمع الناس عند مشارف القرية لاستقبال موكب الولي وضيوفهم من المريدين، فقاموا بتجهيز الأطعمة من ما يختزن في البيوت الريفية من الجبن القديم وخبز الذرة اليابس كل على قدر استطاعته، وصل الموكب عند حلول صلاة الظهر فدخل النعش لساحة المسجد؛ فتمت الصلاة ليخرج طائفًا بشوارع القرية، ثم يخرج منها من بين الزراعات متجهًا ناحية القرية التي تليها مسرعًا الخطى.

دخل القرية الثانية فطاف بشوارعها التي يوجد بها أضرحة قديمة قدم ما بقريته، والتي تبدو من مظهرها أنها قد أهملت من الزائرين ومانحي النذور لفترة طويلة، ربما لبعد المسافة أو لضيق ذات اليد أو لمبدأ (اللي عايزه البيت يحرم ع الجامع) أو لكل ذلك معًا.

تصادف مقابلة زملاء الدراسة بعصام أثناء طواف النعش بقراهم؛ فكان انضمامهم للموكب يمثل راحة نفسية له، فلديهم ما لديه من العلم، ولو كانوا ينكرون ذلك الفعل بدليل لما شاركوا أو على الأقل لعاتبوه على المشاركة، أو أخبروه بما يجهل، بل وجد أحدهم يزاحم حتى يصل لينال أجر حمل النعش، ويصر على إطالة فترة حمله له، وهو الأوفر حظًا منه في العلم؛ فأخيه الأكبر أستاذ بالجامعة وخطيب

مرموق، وكذلك من يليه يحضر رسالته العلمية لنيل درجة الماجستير، فربما أخذ عنهما ما لم يصل إلى عصام، الذي تفتخر به عائلتي والده ووالدته كأول من يدخل الجامعة دارسًا في العائلتين.

تابع الموكب مسيرته نحو الجانب الشرقي من القرية بعد عبور الجسر الذي يصل بين جزئي القرية التي قسمها مرور الترعة الكبيرة القادمة من أسيوط متجهة إلى القاهرة، دخل المسجد الجديد ذو المئذنة العالية قبيل موعد صلاة العصر بدقائق معدودة، جدد فيها من نقض وضوؤه الوضوء استعدادًا للصلاة، رغم كون أغلبهم لم يكن من المصلين بشكل منتظم من قبل، بعد الصلاة خرج الموكب يطوف بشوارع الجانب الشرقي من تلك القرية حتى وصل إلى نقطة الشرطة، ما استطاع العساكر الجالسين على أبواب النقطة من منع ذلك العدد الكبير من أهالي ثلاث قرى، فكان التصرف الذكي من الضابط الشاب الذي يعرف لدى الجميع بأخلاقه المتميزة وبعنفه الشديد في ذات الوقت، خرج وأطلق رصاصتين كتحية للولي، وأمرهم بالانصراف مؤكدًا أنه سيتبعهم إلى القرية فهي في نطاق عمله، وأوقف الطريق السريع ليتمكن الموكب من العبور إلى الجانب الغربي والعودة إلى القرية من الناحية الشرقية هرولة للحاق بصلاة المغرب بمسجد العزبة

التي تتقدم القرية من الجانب الشرقي بمحاذاة الطريق السريع والترعة الكبيرة.

عاد الموكب إلى القرية واستقر النعش بمسجد الحاج علي بعد اجتماع كل الأهالي ومن صاحبها من أهالي القرى المجاورة إمام المسجد وبالشوارع المحيطة به لبحث ماذا سيحدث في الغد، فالحاج على قد أصبح شأنه يخص القرية بأكملها وليس عائلته فقط فهو شرف البلدة ووليها، وللجميع الحق في المشاركة في أي قرار يتخذ، فقطعًا سيخبر ضابط النقطة مأمور المركز بالحدث بصفته رئيسه في العمل، وأيضًا لا يجوز أن يكون الدفن بالمسجد إلا بعد موافقة وزارة الأوقاف التابع لها المسجد، وكان هذا الاقتراح بداية جدل كبير بين من يرى بتحريم الصلاة في المساجد التي تحوي أضرحة، وبين من يفندون الرأي بوجود أضرحة بالمساجد الكبرى بالقاهرة والمحافظات كلها، بل أن أشرف المساجد بعد المسجد الحرام هو المسجد النبوي به ثلاثة أضرحة للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، بل أن الأرض كلها ما هي إلا مقبرة كبيرة لأناس مرّت عليهم السنوات الطويلة، وتعاقبت الأجيال ولكنها مسجد يجوز الصلاة فيها بنص الحديث الشريف (جعلت لي الأرض مسجدًا والتراب طهورًا) وكذلك تعتمد النيّة في المصلي على ثبوت لمن صلاته أكانت لله أم لصاحب الضريح؟، ولكن إن كان

بعض العلماء يرى بها شبهة تحريم فإن جمهور أهل العلم لم يحرم ذلك؛ إذا تم عزل الضريح عن ساحة الصلاة كالمتعارف عليه في جميع المساجد المحتوية على أضرحة.

قطع الجدل حضور مأمور المركز ليجتمع بأبناء الحاج علي ويؤكد عليهم حتمية عدم الخروج صباحا إلا بحضوره، فالأمر قد بلغ مدير الأمن والمحافظ، ولو كان بالأمر أية شبهة دجل أو نصب سوف يتعرضون للمحاكمة، فإما أن يتم دفن الجثمان في مقابر القرية دون تلك الضجة، أو الانتظار لحين وصوله صباحًا.

كانت الفرصة سانحة بخلو القرية طوال اليوم، وانشغال الجميع بالولي وما سيكون من أمره فتمكن حسين لص الماشية من سرقة ما استطاع من خراف صغيرة وبعض الحمير في غفلة من أصحابها الذين تركوا حقولهم للحاق بالموكب، وأفاد ذلك اللص كون اليوم يوم سوق المركز، فما سرق تم بيعه للمشترين من القرى الأخرى؛ فلن يتمكن أصحابها من استردادها أو معرفة أين توجد، فرزقه اليوم وفير، كان يضحك من أعماقه متمنياً أن يظهر بكل قرية وليًا يشغل الناس ليتمكن من عمله، وحبذا لو كان ظهور الأولياء في أيام الأسواق لكان خير وبركة، فمن ستره الله لا يفضحه الولي، وكم من لصوص تسرق

المساجد ومنهم من يدعي التقويم فيقول حلقات الذكر ثم ينصرف للعب القمار بما نشله ولده من جيوب الرجال.

من بين الزراعات وبجوارالساقية القديمة كان يتأهب للرجوع إلى القرية بعد قضاء متعته المحرمة دون خوف من عيون البشر المترصدة له ولها، فالجميع يعرف ذلك النجس الذي لا يكف عن الممارسات الفاحشة مع تلك التي لا تستحى من كونها افتضحت من قبل عندما اكتشف زوجها الأول خيانتها له مع جاره بين الزراعات، فقام بمطاردتها حتى احتمت منه بمنزل والدها، فتم طلاقها لتتزوج بعد فترة من رجل بعمر والدها لتكون الزيجة الثالثة له، لخدمته بعد وفاة زوجته الثانية، ولكنها لا تكف عن رغباتها التي جعلت وجه ذويها في الأرض حياء من أي مواجهة لعيون رجل أو امرأة أو طفل، فذياع أمرها كان أمراً مخجلاً، فما من كبير أو صغير بالقرية إلا ويعلم ما يدور من أحداث بينهما ولكن الكلام يأتي إلى عتبة دارها ويتوقف، وكم من مرة تشاهدها بعض النسوة العايدات من الحقول وهي تتأهب للخروج من الكوخ بعد فرار موسى قبل أن يضبط متلبسًا فيفتضح أمرهما الذي هو بالفعل معروفًا لدى الكثير، وقتها ربما يقتل من أبناء زوجها كرد لكرامة وشرف والدهم المهان، فيضاف إلى قائمة المقتولين في عائلته التي لم تحصل على ثأرها وأصبحت معيرة بذلك،

وهي أقل من يقتل بسببها فغرامياتها ليست له بمفرده، بل لكثيرين يعلم بعضهم رغم إنكارها عنه.

ظل الجميع وإن انقسم بعضهم لجماعات صغيرة لا يتحدثون إلا عن موكب الولي وما رأى من أماكن لم يكن يعرفها رغم تقدمه في العمر وزياراته المتعددة للقريتين أو من يصف مشهد الضابط وتقدمه الموكب بعساكر النقطة وإيقافه الطريق لعبور الولي أولاً، أو من يتنبأ بما سيحدث في الغد أو بموضع الضريح الذي سيكون للولي متناسين ما تم سرقته، فاللص معروف وبالضغط أوبالمال سيعيد ما سرق، فإن كان لا يخشى على نفسه من العقوبة فلديه بالقرية من يخاف عليهما من غضب قرية بأكملها، وإلا فليس لوالديه أي حق في الإقامة في القرية؛ وسيباع بيتهم ليرد به ثمن ما سرق.

جلس صابر الديب مكرهًا أمام جلال الحلاق الذي لا يترك شخصًا يجلس أمام بيته إلا وجلس بمواجهته، وأخرج عدته وشرع في دهان وجه ذلك الشخص بالصابون شاحذًا الموسى على راحة يده ليبدأ في محاورة معه، حتي وإن كان قد قام بالحلاقة لنفس الشخص مرتين أو ثلاثة في اليوم الواحد، فالأهم لديه الأخبار الجديدة وعدم الركون إلى الراحة، فلابد أن يكون جميع من يتعاملون معه شعورهم قصيرة لحاهم حليقة ناعمة، حتي قيل عنه أنه يمر بالليل فإن وجد نائمًا أمام منزله

قام بحلاقة لحيته ثم يتركه فيفاجأ الرجل صباحًا بمروره حال النوم مما يرى من أثر الحلاقة من صابون ملقى على الجدار أو الباب، وتلك الجروح من الموسى الثلم الذي لا يتغير إلا في صبيحة اليوم التالي.

كان صابر لا يريد أن يتحدث لجلال فهو على أحر من الجمر للطعام وبعض أنفاس الشيشة التي لم يتذوق طعمها منذ الصباح، ولكن هيهات أن يتركه جلال، فهو يريد أن يستطلع الأراء وخاصة من كبار العائلات أولاً، ثم الشباب ليحدد من خلالها ما سيقول هو حتى لا يخسر عملاء بقولة ربما تغضب عائلة بأكملها، ولكن لا ضير من بعض المزاح الذي يعرفه عنه الجميع، فشخصية جلال المرحة تجعله يرتجل النكات والفكاهات دون جهد، مما يجعل البعض يبحث عنه إن افتقده؛ ليضحك أو يتذكر له موقفًا، فرغم تقدمه في العمر واشتغال أولاده معه بالحلاقة، إلا أنه لا يركن إلى الراحة وترك أعباء العمل لهم، فهو يعتقد أنه لو مكث في البيت يومًا واحدًا سيصاب بالعجز، وربما لن يخرج بعدها إلا للدفن، لم يسلم من لسانه أحد بالقرية قريبًا كان أو غريبًا حتى النساء يتندّر عليهن بما لا يخدش الأعراض.

كان من غير المنطقي التنبؤ بأية أحداث من أي شخص بعد حضور مأمور المركز بنفسه ومعه بعض العسكر الذين تم تكليفهم بحمل النعش دون اقتراب أي من الأهالي، فربما صدق زعم عائلة

همام وكان كل ما تم محض افتراء، وأن من يوجه النعش حاملوه لخلق فتنة في عقول أهل القرية، وربما حدثت المعجزة وظهرت كرامات الأولياء على كاهل العسكر، فاقتنع المأمور وأمر ببناء المقام الذي سيضم جسد الولي، ولكنها ساعات الليل هي الحد الفاصل بين كل تلك التوقعات، وفرصة للراحة بعد السير على الأقدام لنهار كامل وإن غدًا لناظره قريب.

(٤)

رؤى

قبل اقتراب موعد صلاة الفجر كان المأمور قد أطلق سراح أبناء الحاج علي بعدما اصطحبهم معه مساء اليوم السابق، فدخلوا القرية التي كان أهلها على أهبة الاستعداد للمشاركة في أحداث اليوم الجديد بما يحمل من مفاجآت، تقدم أوسطهم وحمل النعش بعدما كشف وجه والده المسجى في تابوته، وأسرع بإحضار سيارة وحمل النعش بمساعدة أبنائه وأبناء إخوته، وتوجه سرًا نحو المقابر لدفن جثمان والده قبل طلوع الشمس واستيقاظ أهل القرية وتوافدهم ناحية البيت والمسجد، تاركًا أخويه لمواجهتهم بالأمر؛ متعللين بعدم قدرتهم على مواجهة الأمن ولكنهم سيقومون بطلب التصريح بنقل الجثمان بعد بناء الضريح فما تم هو أمر مؤقت فقط وفرصة للتفكير السليم بعيدًا عن أي ضغوط وقتية.

سادت حالة من الغضب على أبناء الحاج علي من كل أهالي القرية الذين تشبثوا بحلم ظهور ولي في قريتهم، وما سيقصونه افتخارًا بين

الناس من القرى الأخرى عن ما تم مشاهدته من كرامات الشيخ، وعن تلك المعجزة التي ما حدثت في أي قرية أخرى، فمنهم من سب ولعن تخاذل أبناء الحاج علي مؤكدًا أنه كان عليهم التقوّي بالأهالى جميعًا ضد تهديدات المأمور، ومنهم من اتهمهم بالكذب، فما حدث ما هو إلا محض افتراء كما قالت عائلة همام وليس من الكرامات في شيء؛ لذلك خافوا من حمل العسكر للنعش واكتشاف كذبهم، مما جعل الشماتة تظهر جهرًا في الجانب الغربي من القرية واختلاق نكات هازئة تمس الحاج علي شخصيًا، أو يمس أولاده الذين أرادوا زياع صيتهم، فافتضحوا بكشف دفاتر قديمة ما كان لها أن تظهر إلا بفعلتهم التي لم تكتمل.

تقدم عصام بسؤاله للأستاذ الدكتور أحمد الجزار رئيس قسم الفلسفة وأستاذ علم التصوف بالجامعة؛ ليتيقن بالعلم من هل ما حدث بقريته حيلة لكسب نفوذ وزياع صيت عائلة معينة على القرية أم بالفعل كرامة ولي؟، فكانت إجابة الأستاذ مدخلاً لدومات فكرية وفلسفية أشد تعقيدًا من السؤال نفسه بعد تفنيد الإجابة التي تميل إلى كون ذلك مجرد ادعاءات وهمية من بعض الجهلاء المتمسحين في الصوفية اسما فقط، ثم يقفز إلى الجانب الآخر لشرح درجة الولي وأسرارها وعلاماتها الظاهرة والخفية فكم من ولي بين الناس لا يعلمه

إلا الله ثم أعقب ذلك الصراع باقتباس قول الإمام الشافعي أن ننظر إلى عمل صاحب الحدث ومنه نحدد إن كان كرامة ولي أو عمل شيطاني، لم تكن تلك الإجابة شافية لعقل الشاب الذي تموج به الأفكار فذهب إلى المكتبة واختار منها ما يروي ظمأ أسئلته العديدة التي تتقافز في رأسه وكأنها أقدام حافية تسير في وهج الصحراء في يوم حار.

عاد الناس لمباشرة أعمالهم بينما لا يخلو حديث من ذكر ما حدث واتهام صريح سواء عن قناعة بولاية الحاج علي أو عن تكذيب لهذا الزعم، وراجت المخاصمات الكلامية بين مؤيد ومعارض، فمنهم من يؤكد على عودة الجثمان مقسمًا بأغلظ الأيمان أنه قد زاره بالمنام وكشف له عن أسرار تأكد منها، ومنهم من يقول بعدم عودته، وما هي إلا حيلة لينسى أهل القرية الأمر برمته بتقادم الزمن؛ معللاً أنه كان معهم فلماذا قاموا بدفنه بالمقابر ثم يحضروه كمن يقول من أين أدنك يا جحا؟، فعندما يتسرب مقدار قليل من الشك إلى جبال اليقين، يجعل الناظر إليها يلحظ الشك فقط لكونه غريبًا عن المادة الأصلية، كغرة الفرس التي تجذب العين قبل لونه الأصلي أو كالشامة في الوجه؛ فربما تزينه أو تقبحه.

تكررت الأقوال عن الزيارات المنامية للحاج على العديد من الأهالي و خاصة تلك المرأة التي كانت كل يوم تظهر على الناس برؤية

جديدة، فمرّة تقول أنها رأته قادمًا من المقابر يضحك وعلى رأسه عمامة خضراء بخطوط ذهبية يتبعه ثلاثة رجال، ومرّة أخرى تقول أنها رأته يصلى أمام المسجد فسألته لماذا لا يدخل قال لم يأت الموعد، وغيرها مما كانت تقصه على النساء كل يوم صباحاً، لدرجة أن قالت لها رتيبة زوجة صابر الديب بعفوية (دا لو جوزك يا فوزية مش هايكلمك كل يوم).

روّج لها جلال الحلاق ترويجها إعلاميًا بنقلها إلى القرية بأكملها بعض إضافة ما طاب له من إضافات تناسب من سيستمع، بما يضحك فقال: أن فوزية عندما مر من أمام فرشتها فقصت عليه الرؤية قالت: إن الحاج على أشار إليها بديه كمن يودع مسافرًا فعلّق عليه أحد الجلوس أنها لا تنادي الرجال لتقص عليهم فقال: إنه كان يشتري منها بعض الطماطم وكان سعرها مرتفعًا فتجادلا في السعر ومن هنا بدأت القص بعدما أقسمت له بالحاج علي أنه نفس السعر في سوق المركز، فرد الرجل دون أن يدري ما يعدّه له جلال فقال: (يا راجل طماطم إيه اللي غالية، دا احنا أما نبيعها بالهوبالي) يقصد دون وزن لبخس سعرها، فرد جلال بسرعة: (أيوا ما أنا اديت أمك ربع جنيه ادتني هوبالي ونص) فضحك الجميع من سرعة بديهته، وطلبوا منه جلب المزيد من الأقوال التي هي في الأصل شغله الشاغل، لدرجة أنه كان

يجالس بعض السيدات أمام بيوتهن ليستمع ما يقلن على لسان أزواجهن، وربما آرائهن أنفسهن، فالرأي العام لابد له من كلمة وخاصة ما يسر بين الرجال والنساء فيسقط بعضه من عقدة لسان المرأة المتفاخرة بزوجها.

ذات صباح تفاجأ سائقي السيارات عند مدخل القرية بقدوم الأسطى نبيل صاحب سيارة بيع الطوب الاحمر يدخل القرية رغم عدم وجود أي من الأشخاص يقوم بالبناء فموسم البناء دومًا يكون في شهور الصيف لطول ساعات النهار وعدم انشغال شباب العائلة التي تود في ذلك بدراساتهم سواء بالمدرسة أو الجامعة في فصل الشتاء، وكذلك وفرة الطوب اللبن فوق أسطح المنازل استعدادا لاستكمال حجرات بالدور العلوي، وعدم وجود أي جدوى من وجود طوب أحمر، فلا توجد أي ملامح لمبان جديدة بعد ارتفاع أسعار الأراضي وعودة أغلب الرجال من الدول العربية بعد حرب الخليج خوفًا على أنفسهم من الموت في أرض الغربة، كانت العيون تترقب أين ستقف سيارة الأسطى نبيل، ومن الذي هاتفه أن يجلب له نقلة الطوب؟ بينما تتجه السيارة ناحية منزل الحاج علي ودون مقدمات يبدأ الصبي في إنزال الحمولة بأمر الأسطى قبل أن يقرع الباب.

كانت المفاجأة التي جعلت الجميع يبهت أن ما أعلنه الأسطى نبيل شيء لم يكن في الحسبان نهائيًا، فقد جلس على المصطبة الطينية أمام المنزل وقص على أبناء الحاج علي ومن تجمع من الرجال لاستطلاع الأمرأن الحاج علي قد زاره في المنام، وأمره أن يحضر نقلتين من الطوب لبناء المقام الذي سيكون ضريحًا له بعد عودة جثمانه من المقابر قريبًا، وأن يسرع في ذلك ليتمكن البناؤون من البناء، وحدد له أين سيفرغ الحمولة، بل وأمره أن يحصل على ثمن الطوب من ولده الأكبر من المبلغ الذي كان يحتفظ به في حافظة أوراقه وهو ثلاثمائة جنيه، فما أن سمع ولده ذلك القول إلا وتوجه ناحية حجرة أبيه، وبحث عن المبلغ المذكور وأخرجه أمام الحضور الذين انطلقوا في التكبير والتهليل مما جعل صاحب الطوب يقسم بالإنجيل الطاهر ألا يأخذ قرشًا واحدًا من ثمن الحمولتين إكرامًا لولي الله ومساهمة منه في بناء المقام.

لم يقتنع أحد من عائلة همام بما ورد في حديث جلال الحلاق أو غيره ممن شاهد نبيل وهو يقص قصة الرؤية المنامية، فسخروا من بلاهة المتحدثين، مدعين أن ذلك الأمر ما هو إلا ترتيب مفتعل من نبيل وأبناء الحاج علي، لتزيد حبكة كذبتهم على الناس، معللين ذلك أنه لماذا لم يبلغ المأمور أو ضابط النقطة أو العمدة بما يريد من بناء

مقام؟ وتخير ذلك القبطي دون غيره ليخصه بشرف الزيارة وإفشاء سر المبلغ الذي ربما اتفق بشأنه معه حتى يصدق الناس ذلك الكذب؟ والدليل الأقوى لماذا اختار ذلك الموضع بعيدًا عن المسجد رغم أنه كان كما يقولون حدد موضع دفنه بالمسجد وبجوار النافذة القبلية، وما ذكر من حفر البعض الموضع ووجود رائحة طيبة به واختلاط التراب بالحناء، ألم يستطع أن يزور مدير الأوقاف ليصرح لأولاده بإقامة ضريح منفصل عن حرم المسجد كما في مساجد الأولياء الصالحين؟ أو يزور المأمور الذي أرغم أولاده على دفنه سرًا قبل طلوع الشمس كالقتلى، ثم يكمل متهكمًا: هو فقط يكتفي بزيارة فوزية بائعة الخضروات يوميًا لقلبه الحنون على الأرامل والمطلقات.

بدأ على الفور تطوّع البنائين من الفريق المؤيد وبمساعدة بعض الرجال حفر أساسات البناء لتشيد الضريح استعدادًا لاستقبال الولي، وكما جاء الطوب الأحمر، جاء الرمل والأسمنت بتوصيات منامية من الولي، وبأمارات واضحة تثبت صدق الرؤية لمن يسمع كي يتيقن من الروايات المذكورة على لسان رجل غريب عن القرية، ربما اتفق مع طه أبو الحاج علي ليسرد ما يجذب انتباه الجميع مقابل مبلغ مالي كما يقول المعارضون من عائلة همام.

كان ممن استمع لهذه الحكايات في الجانب الغربي للقرية وأراد إظهار الإهانة والتهكم ففضح أمره دون قصد عندما قال: (طيب سيبوهم يبنوا المقام يمكن يربطوا فيه الحمير والا أهو يوفر علينا مشوار الخص قبلي الساقية) ضحك جلال الحلاق لمعرفته تفاصيل علاقات موسى المحرمة مع صباح وغيرها فقال ساخرًا: (يمكن يطلع شيخ بجد ويسخطك قرد إنت وهي وتبقوا فرجة البلد كلها يا نجس).

في جلسة من جلسات التوتة، أو ما كان يطلق عليه أبو عبدالباسط (القصر) ويجعل كرسي المملكة لعصام دون غيره ليرتفع عنهم، تحاوروا حول ما حدث في القرية من ظهور كرامات الأولياء، فكان السؤال موجه إلى عصام بصفته أكثر الجالسين علما في نظرهم فأخبرهم بما قاله أستاذه بالجامعة، فكانت ضحكات أبو عبدالباسط المقترنة بسعال نتيجة ابتلاعه بعض الدخان حال الضحك مقدمة لقوله: (يبقى برضه أنت كنت شاكك يا أستاذ، ما هو ولاد النصابة اللي حاوطوا الخشبة يخلوا أي حد يقلق، ما كلنا عارفينهم بالنفر، ونصهم قمارتية، يبقى لو هم بعيد والله الواحد ما يتكلم في حاجة خالص، الراجل محترم من زمان وعارفينه) ثم قص قصة تدل على كرامة حال الحياة له مع صديق عمره الشيخ عبدالقادر فقال: أنهما اتفقا على أن يقوم أحدهما بتغسيل وتكفين ودفن من يموت أولاً وأقسما على ذلك،

فصادف أن سافر الحاج على لعقد زواج في القاهرة لبنت أحد أبناء القرية هناك، وفي ذات اليوم توفي الشيخ عبدالقادر بعد صلاة الظهر بينما كان الحاج علي قد خرج منذ الصباح، فحدث أنه كانت السيارة في الاستراحة في محافظة بني سويف، ففتح الحاج علي حقيبته ليتأكد من أوراقه فوجد أنه ترك دفتر الزواج وجعل مكانه دفتر الطلاق، فحاول الاتصال بتليفون العمدة ليخبر أحد الخفراء أن يرسل أحد أولاده إليه بالدفتر إلى القاهرة فلم يتم الاتصال لعطل ولم يجد أمامه إلا أن يتصل بوالد العروس ليخبره باعتذاره ويعود إلى القرية؛ ليجد أن الشيخ عبدالقادر قد توفاه الله منذ ساعة، فقال ما نسيت الدفتر إلا بالقسم بيننا، فدخل وغسّله وكفّنه وصلى عليه ودفنه، تذكر عصام هذه الواقعة فقد كان في المرحلة الثانوية وكان الجو حارًا جدًا وكانت شمس يوليو تحرق الرؤوس، ولكن أثناء التشييع احتجبت الشمس بعض السحب فأمطرت فقال الناس إن السماء تبكيه.

بالفعل كما قال فما جعل بعض الناس تنصرف عن الاقتناع بكون ما تم يعد من كرامات الأولياء بعض من اشتهر عنهم ما يشين، فبعضهم يدعي أنه من الصوفية لكنه معروف لدى الجميع بعلاقاته المحرمة مع من يطلق عليهن أخواته في الطريقة، وآخر أشتهر بدناءة؛ رغم ما آتاه الله من نعم، لكنه يتطفل على الناس لإطعامه،

وفيهم المسكين الذي لا يملك إلا فضل الله، ومنهم من كان يفطر دون عذر في رمضان ثم يطوف القرية ليجمع الغلال والنقود كمساهمات من الناس لعمل ليلة ذكر احتفالاً بذكرى أحد الأولياء ليتربح من وراء ذلك ومنهم... ومنهم.. ، نماذج تسيئ إلى الصوفية والمتصوفة، وتجعل من يعرفهم لا يقتنع مطلقًا بكونهم أهل الله كما يدعون، فأولاد شعبان الذين يشتهرون بالنشل في المركز قد أطلقوا لحاهم كدراويش يجوبون الموالد، ويعلم الله إن كانوا يسرقون رواد حلقات الذكر أم يكتفون بمن جاء للمشاهدة فقط.

تحول قسم بعض النساء في حديثهن من الحلف برحمة عزيز لديهن كأب أو ابن أو زوج، أو بغربة أحدهم أو بأحد الأولياء القدامى بالقرية إلى الحلف بحياة الحاج علي، وانتقل هذا القسم الجديد منهن لبعض أطفالهن تقليدًا، فكانوا يقسمون به لزملائهم في المدرسة بعد القسم بكتاب الدين، مما أثار أطفال عائلة همام الملثمين من قبل والديهم أن الحاج على ليس شيخًا يحلف به، فكانت مشاجرات الأطفال تقوم بسبب ذلك القسم الغير مصدّق من طرف، والمقدّس من طرف آخر يخشى أنه لو كذب به لأصابه الشيخ بالشلل والعمى، فيعودون وقد تقطعت ثيابهم ومزقت كتبهم نتيجة للنزعة القبلية التي مازالت

جيناتها الوراثية في نشاط مستمر رغم اختلاط دماء عائلات القرية في تكوين ذلك الجيل.

لم يكن بوسع أحد سواء مؤيد أو معارض أن يعيد زوجته ابنة العائلة المخالفة له ولعائلته الرأي لمنزل والديها، كاعتراض منه على موقفهم، فلو فعل لعادت إليه أخواته وبناته كرد فعل طبيعي لفعلته، فليست هذه أفضل من تلك، وكان أغلب حالات المصاهرة الأدبيات بأن تزوج العائلة بنتها لشاب ثم تزوج ابنها من إحدى بنات نفس العائلة لتقوية الروابط، وكثيرًا ما توجد بنتين أو ثلاثة أخوات في بيت واحد كزوجات لرجال أشقاء، أو أن يتزوج الشاب من بنات أخواله أو خالاته فيجتمع أكثر من ثلاث عائلات في نسب الطفل القادم كأجداد أبا وأما، وفي بعض الأحيان ما إن تغضب زوجة من زوجها لسبب ما؛ فتترك بيته لبيت والدها إلا وفي نفس الوقت، وبدون مبرر تعود شقيقة الزوج لبيت والدها تاركة منزل زوجها حتى تحل مشكلة الأولى؛ بعد تدخل الرجال والنساء للصلح لأجل الأولاد وتقدير درجات القرابة بينهم.

للعقل البشري ميول لا يغيرها أي تقدم أو تحضر، ففي لحظات معينة يخرج الجين الأصلي للشخص الذي يوقن بخطأ ما يفعل ولكنه في نفس الوقت مقتنع بفعله مثل تمييز الذكور على الإناث في المواريث، أو ربما حرمان الأنثى نهائيًا، وترضيتها ببعض النقود تحت

مسمى (حاجة من ريحة أبوها) حتى لا تصل الأرض والمنازل لزوجها من العائلات الأخرى، رغم كون من يفعل ذلك تجده في أقصى حالات الخشوع بالمسجد، وربما بكى من التقوى عند سماع القرآن أو حلقات الذكر، لكن هذه نقرة وهذه نقرة، فكان الحاج علي بصفته مأذون القرية يقوم بتزويج أحفاده من بنات عمومتهم أو عمومة العمومة مبكرًا حتى أنه حال حياته شهد أحفاد أولاده من تلك الزيجات التي كان يفرح بها الشاب والفتاة غير مدركين لمعنى مسئولية الزواج نفسه.

توقف جلال الحلاق أمام منزل أخيه سيد الذي يعمل بالشرطة متطوعًا كنفر، لعل لديه من الأخبار بشأن التصريح الذي تقدم به طه لنقل جثة والده، فتكون المعلومة من مصدرها ولكنه عاد خائبًا بعد ما علم أن أخاه لم يرجع بعد، فقرر أن يلقاه بالمساء عند دكان دسوقي، وحتى يترك له سرد القصة ليعلم الناس أن أخبار المركز تصل إليه من مصدر موثوق به، وفي ذات الوقت يقوم بالحلاقة للجالسين فموسم القمح قد اقترب ليجعلوا في عيونهم (حصوة ملح) عندما يذهب لجلب أجره وما يسمونه (العليقة) فلديه باقي القرية لابد أن لا يطول شعر أو لحية أحدهم، فيكفي ما ظهر مجددًا من التحاء بعض الرجال بعد ظهور كرامات الحاج علي تعشمًا أن يصبحوا أولياء مثله، فخسر بعضًا من أجره.

تابع سعد وربيع أعمال تشييد المقام والإشراف على تكملة ما ينقص من مؤن، وجلب العمال في كل الحرف كنجار وكهربي ونقاش، بينما الأخ الأكبر يسير في اتجاه تخليص أوراق التصريح بنقل الجثة من المقابر إلى مدفن خاص بالقرية؛ بعد استكمال المدة التي قررها طبيب المركز وهي مرور ستة أشهر على تاريخ الدفن حتى تكون الجثة قد تحللت، فإن وجد الجثمان بحالته الطبيعية حال الدفن فهو من الأولياء الصالحين الذين حرمت أجسامهم على أن تأكلها الأرض، وإن كانت تحللت فيتم النقل دون إيذاء الآخرين برائحة الجثة حال تحللها، بينما يستشعر سعد نظرات اللوم من إخوته دون أن ينطق أدبًا واحترامًا حتى مع صغيرهم محمد رغم ما كان منه من أفعال سببت الضيق لوالدهم حال حياته ولكن الموقف الآن لا يحتمل شماتة من أحد.

(٥)

انشقاق

في مقهى صغير بسوق الماشية كان يجلس صابر الديب يدخن الشيشة، بعدما قام ببيع ما جلب من تجارته، وليحاسب زملاء العمل على المؤجل من السوق الماضي، فاقترب منه فوزي أبو همام تاجر الأغنام والماعز فألقى عليه التحية ثم جلس بجواره بعدما طلب كوبًا من الشاي، قدّم رزمة من الأوراق المالية لصابر كعربون لبعض الأغنام التي سيشتريها حال عودتهم القرية، لبيعها بعد أيام في سوق المركز المجاور.

تمهل صابر في أخدها من يده فلم يتم بيع ولا شراء ليأخدها لكن فوزي رغم ما بينه وبين صابر من مصاهرة تجعل صابر في حكم خاله، أراد أن يتهكم عليه لتأييده لفريق الحاج علي و اقتناعه به كولي صالح فقال: (وحياة الشيخ الجديد اللي أما تبنوا له مقام يا أبو أحمد لا تاخد الفلوس) ثم أتبع قوله بضحكة ساخرة جعلت صابر يضرب يده الممتدة بعصاه التي لا تفارقه، ثم بدأ في كيل السباب والشتائم له

ولعائلة همام بأكملها، فهي التي جمعت اللصوص والمقتولين دون ثأر والزناة دون غيرها من عائلات القرية.

كان غضب صابر كبيرًا؛ لتفكيره أنهم ظنوا لكونه ليس لديه أولاد ذكور في سن الشباب يعاونونه، فقد أصبح كالذئب العجوز المتكسرة أنيابه؛ فلا يملك أن يرد القرود إن أرادت التقافز فوق أكتافه للهو وللعب، فبدأ سبابه لهم كبداية معركة كلامية حادة تجمع على إثرها أغلب من لم يترك السوق، ليشتد وطيس العراك بين الجميع، حاول أبناء عائلة همام أن تكون لهم الغلبة بانفرادهم بصابر بعيدًا عن عائلته؛ ليفتخروا بها من بعد، لكن صابر كما تعود منذ الصغر على يد والده وجده (أن الكف السابق سابق) فكان له السبق، فطاح في كل من أتي أمامه ولو كان معه ليس ضده؛ حتى تدخل الناس ليفض الاشتباك؛ رغم ما في القلوب من نوايا استكماله مرة أخرى.

عاد صابر لبيته دون أن يخبر أحد من عائلته بما حدث في السوق، فهو رغم كونه لم يرزق إلا بولد واحد بعد أربع فتيات؛ إلا أنه لا يريد لإخوته أو أبنائهم الدخول في شجارات بسبب عمله، إضافة إلى كونه لا يعبأ بأحد طالما أراد الشر، وكان بداخله عزم على تلقينهم درسًا لا ينسى، فهو بمفرده ورغم سنه الكبير مازال يستطيع مواجهة عشرات الشباب ويقهرهم، فما زاده الزمن إلا صلابة وقوة.

جلس في مدخل البيت الخلفي، والذي خصص لدخول وخروج الماشية ليدخن الشيشة منتظرًا قدوم أي من عائلة همام كبيرًا كان أو صغيرًا، لم يمض وقت طويل حتى حضر إلى داره ما يقرب من سبعة رجال منهم، لكن طريقة دخولهم عليه تحمل العزم على الشر، حقًا لا يمسكون بيدهم العصي، ولكنهم بما يعرف عنهم من الغدر يجعل الحذر مطلوبًا، فربما يخفون بين ملابسهم أسلحة بيضاء حتى لا يظهرون أمام الناس كأنهم متوجهون لشجار، فتتجمع عليهم رجال الديابة فتفتك بهم قبل الوصول، فهؤلاء لا يأتون لمعاتبة أو لوم، فكبيرهم غير موجود معهم فهي بالتأكيد مكيدة مدبرة.

قام بتطويقهم داخل الحظيرة بعد خروجه من الباب الرئيسي ليجعلهم في طريق مسدود، ثم طفق يضرب بعصاه من يقترب ضربات قاتلة على الرأس والأطراف والظهر، حتى تمكن من حبس بعضهم في حظيرة الماشية، وفر البعض الآخر مما جعل الجيران تهرع لمناداة الديابة لمؤازرة عمهم، لكنه كان كالسبع الشامخ يجلس عند مدخل الحظيرة يدخن وبيده عصاه مبتسمًا ابتسامة النصر، وقد أقسم أن لا يخرج أحد من الرهائن إلا مباعًا لأهله، وإلا سيباع في سوق الماشية بعد يومين، تجمع العديد من الرجال والنساء والأطفال لرؤية رهائن صابر الديب وهم بحظيرة الماشية يئنون من ألم ضرباته الموجعة،

حيث كانت قوتها مستمدة من انفراده حال العراك، وأيضًا من نظره الضعيف حيث كان يضرب دون أن يتحقق موضع نزول ضربته قائلاً في نفسه: (كل جتة تاخد حقها المكتوب لها).

جلس على مصطبته ممسكًا شيشته التي لا تفارق يده حال الجلوس فاتلاً شاربه الممشوق يزأر بصوت مرتفع: (هات ولعة يا واد يا أحمد)، وكأنه لم يكن منذ دقائق قليلة في عراك مع عائلة بأكملها منفردًا دون مساعدة من أحد أفراد عائلته، لم يمض سوى دقائق معدودة، إلا وقد حضر جلال ليخرج عدة الحلاقة من حقيبته رغم اعتراض صابر الذي لم يجد بدًا من الموافقة بعد ما أضحكه جلال عندما قام بمناداة جمال من الداخل ليحضر بعض الماء قائلاً: (هات جردل يا جمال علشان نخف فيه شنب أبو احمد بدل ما مخاوفنا بيه كدا)، كان يريد معرفة سر المشاجرة وما كان بالسوق فهو يعرف مدى كذب أبناء همام، فأراد سماع الحقيقة، ليتندر عليهم بها.

رفض صابر كل المساومات للصلح دون أن يبيع الرهائن لمن يريد، كنوع من التفنن في مذلتهم؛ حتى لا يتجاسر أحد منهم أو من غيرهم في المستقبل على التطاول أو التفكير في مساواة رأسه برأس أحد من الديابة، وعندما ألح عليه بعض كبار القرية في إطلاقهم، قال مقولة والده التي تعتبر قانون التعامل للعائلة: (إن شفت الشر في

الشارع اقفل الباب، بس إن خبّط عليك ضايفه وإديه حق الضيف وزيادة)، فهو لم يبدأ بالشر مراعيًا ما بين الديابة وباقي العائلات من مصاهرة جعلت جيلاً كاملاً في مرحلة الصبا ينادونه (سيدي صابر)؛ رغم كونه لا يعرف معظمهم فيردد في نفسه حكمة الديب الكبير ضاحكًا: (خلفة البنات تحوج لنسب الهلافيت)، وهاهم الهلافيت يحاولون إحراز نصر مزيف يواري خيبات أجيال ما أفلح الزمن في مواراتها من قتلى دون ثأر، وفضائح سرقات وهتك أعراض، ليكون الحديث الرائج والتاريخ الذي سيكتب سطرًا دون هزيمة، هو ضرب كبير عائلة الديب في عقر داره، ولكن هذا السطر تحول إلى ذكرى مؤسفة لهم في معايرة الجميع لعائلة همام، أن الديب ربطهم موضع البهائم وقام ببيع الرائج منهم في أول ساعة.

كان لموقف صابر أثره النفسي الجيد على أبناء الحاج علي فهو ليس من المؤيدين وفقط، ولكنه يدافع بقوة، ويكفى كونه كبير عائلته فهم بالتبعية معه وهم كثر، فاشتهار الديابة بتعدد الزوجات معروف ليس في القرية وحسب، بل في القرى المجاورة أيضًا، فأقل رجل تزوج باثنتين أو ثلاثة، ومنهم من جمع أربعة، فصابر نفسه تزوج بثلاث، وأخيه محمود بإثنتين، وعبدالصبوراثنتين وصالح اثنتين، وعلى اثنتين، وحسين بثلاث، وجدهم كان يجمع باثنين بعد وفاة

الثالثة؛ فأبدلها ليتم الأربعة، بل أن ابن أخيه محمد تزوج أيضًا بثلاث وأنجب منهن جميعًا، ليعوض ما لم يتمه والده قبل وفاته من إنجاب عدد كبير، فالنادر لديهم أن يكتفي رجل منهم بواحدة كوالد عصام.

جيل صابر من الديابة يضم أكثر من عشرين رجلاً ما بين أخوة وأبناء عمومة، والجيل الذي يليه يصل إلى الأربعين ولدًا ما بين الخامسة والأربعين والعاشرة بخلاف الفتيات، والجيل الثالث رغم زواج بعض أفراد الجيل الثاني فقط وليس كلهم؛ يصل إلى ما يقرب من التسعين، مما كان يجعل الجد حينما يريد أن يجعل لهم وجبة من اللحم، فيقوم بذبح خروفين كبيرين يلتهمهما ذلك الجيش الجرار في دقائق، علّمهم الأخلاق والشجاعة والزراعة والرعي والحكمة، لا ينسى له أحد رده على الشيخ المنتدب من الأوقاف في احتفال مولد الهجرة ليلقي كلمة، فأثناء الدعاء في آخر كلمته قال الشيخ : (اللهم أدخلنا بيوت الظالمين وأخرجنا منها سالمين)، فأمّن الجميع إلا هو قال: (طب ما انت في الأمان بره تخش بيوتهم ليه من الأول وبعدين عايز تطلع)، مما أحرج الشيخ بحكمة هذا الرجل الأمي، لكنه رغم ذلك كله أهمل تعليم أحد منهم بالمدارس، فهو يحتاج ذلك العدد ومثله إن استطاع، ليقوموا بخدمة الأرض والماشية، مكتفيًا بحفظ كل منهم ما تيسر من القرآن وفك الخط على يد الشيخ عبدالقادر في كُتّابه، وعندما أصر

ولده الأكبر محمد على الذهاب للمدرسة ليتعلم مثل أقرانه، ولم يجد بدًا من ذلك تركه يذهب لأيام قليلة ثم سأله: ماذا تعلمت فقال: إن القط له عين وذيل فرد غاضبًا: (هو احنا قلنا اعمى؟، دول هايعفرتوك مش ناقصة يا ابني ما تروحش تاني) و كانت الكلمة فلم يدخلها لا هو ولا غيره.

كعادة أهل القرى في حواراتهم، سواء الرجال في الحقول ومجالس السمر تحت الأشجار أو على مصاطب البيوت ليلاً، أو جلسات النساء أمام بيوتهن، كانت قاعدة الجديد ينسي القديم هي الغالبة، فقد ترك الجميع حكايات الولي وزياراته المنامية لبعض الأشخاص سواء كانت رؤية حقيقية أو من خيال الراوي، إلى حكاية صابر الديب، وما أثبته من مقولة والده أن (لحم الديابة لا يؤكل) فشخص بمفرده كفيل بعائلة كاملة ليذيقها المهانة، وبدأ جلال الحلاق في نسج نكاته حول الحدث ليضحك زبائنه مما انتشر في منطقة غرب البلد موطن عائلة همام، الذين ما إن وصل إليهم جلال ليمارس عمله؛ حتى حاولوا ضربه جزاء ما قال في حقهم، ففاجأهم بقوله: (الراجل فيكوا وفي وشه شنب زي رباط الجزمة يروح لصابر اللي باعكوا زي البهايم، مش تتشطروا على قط وسايبين الديب يا ولاد همام، والله حظكوا حلو أنه كان لوحده، وإلا كان زاد عدد القتلى عندكم السبعة

اللي راحوا، ياك تحسبوا كانوا هايقولوا ولاد خالتنا؟ دول ما يتلعبش عندهم وعلى رأي المثل خالتي و خالتك واتفرقوا، وإن كان على بناتهم اللي عندما رجالهم موجودة، الراجل فيهم أما يقني اتنين وتلاتة وياديك يكفوه، وعلى العموم أنا مش عاجز زي ما في دماغكوا دا انا ابن عيلة راشد يعني ورايا رجالة برضه).

(٦)

مجلس التوتة

جلس عصام على كرسي المملكة تحت شجرة التوت في الحقل واجتمع مجلس المزارعين من جيرانه؛ بعدما قام بندائهم أبو عبدالباسط لشرب الشاي والاستماع إلى ما وصل إليه الأستاذ في شأن أصحاب الأضرحة من الكتب التي جلبها من مكتبة الجامعة، فقرأ عليهم من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني ما يدلل أن السيد أحمد البدوي ما هو في نظر مؤلف الكتاب إلا شيعي مغربي، و كذلك ما ورد من شائعات تاريخية أخرى عن السيد البدوي وغيره في حكايات رواها عبدالوهاب الشعراني في كتابه فقرأ: أنه لم يخلع لثامه الأحمر عن وجهه طيلة حياته لغسل أو استحمام، مما يؤكد على قذارته والتي أدت إلى أن يفتك الجدري به حتى مات منه.

الصحيح في تلك الحكاية أن الشعراني ذكرها، لكن لم يذكر أنه مات بالجدري بل نص على أن السيد البدوي ولد وعاش بثلاث نقاط على وجهه من أثر جدري؛ والأمر الأهم أنه بعيدًا عن مسميات الصوفية

للسيد البدوي مثل "السطوحي وشيخ العرب"، فإن السيد أحمد البدوي له لقبين بسبب جسده.

كان اللقب الأول "الشيخ العطاب" لأنه كان في جبل بن أبي قبيس يتعبد ويتعرض لأخطار الآفات وقطاع الطرق فكان يعطبهم والعطب بمعنى الإهلاك والإفساد، أن يكان يؤذيهم ويهلكهم، أما اللقب الثاني وهو "البدوي" فقد أطلقه عليه أهل العراق ومصر بسبب أن اللثام الذي كان يرتديه يشبه أهل البادية فسمي بالبدوي، ولم يوجد سبب واحد حول تمسكه بهذا اللثام سوى ما ذكره الشعراني وهو أثر الجدري المولود به ولم يمت بسببه.

قال الشعراني في الطبقات أيضًا عن بعض شيوخ الصوفية حكايات كثيرة مثل :(الشيخ حسين أبو علي - رضي الله عنه -، كان هذا الشيخ من أكمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا، ثم تدخل فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا، ومكث أربعين سنة في خلوة مسدودة بابها، ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوي سيماوي)، وقال أيضاً:(فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في كيس ورموه على الكوم وأخذوا

على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسيناً - رضي الله عنه - جالساً فقال لهم: غركم القمر، وكانت النموس تتبعه حيث مشى في شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية، وكان - رضي الله عنه - بريئاً من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة)، وقال أيضاً في ترجمة يوسف العجمي الكوراني: (وكان - رضي الله عنه - إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً، ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب، إن وقف وقفوا وان مشى مشوا)، إلى أن قال: (ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب، وصار الناس يهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه، فلما مات اظهروا البكاء والعويل، وألهم الله - تعالى - بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا)، فقال الشعراني:(فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت، فكيف لو وقعت على إنسان؟!).

وقال أيضاً:(ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه، إلى أن قال:(ولما دنت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً وغلب عليه الذلة والمسكنة والخضوع حتى سأل الله - تعالى -

قبل موته أن يبتليه بالقمل والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً، ومات على طرف حوشه، والناس يمرون عليه في الشوارع)، قال:(وقال له سيدي علي بن وفا: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء.؟ فقال له سيدي محمد - رضي الله عنه -: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟)، وقال أيضاً في ترجمة أبو الخير الكليباتي: (كان - رضي الله عنه - من الأولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره، وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن، وكانوا يقضون حوائج الناس، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم، وكان أغلب أوقاته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم، ويدخل الجامع بالكلاب فأنكر عليه بعض القضاة فقال: هؤلاء لا يحكمون باطلاً ولا يشهدون زوراً)، وقال أيضاً:(ومنهم سيدي سعود المجذوب رضي الله عنه كان - رضي الله عنه - من أهل الكشف التام، وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعاً بوزه (فمه) على كتفه).

وقال أيضاً في ترجمة بركات الخياط:(وكان دكانه منتناً قذراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان وكان لا

يستطيع أحد أن يجلس عنده)، وقال أيضاً:(الشيخ شعبان المجذوب - رضي الله عنه -، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل واخبرني سيدي علي الخواص - رضي الله عنه - أن الله - تعالى - يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوباً على العباد)، وقال:(وكان يقرأ سورا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل).

تعجب الجميع مما سمعوا وثأر اللغط بينهم فأكمل عصام ما زاد من دهشتهم أن الشعراني نفسه له مقام في مسجد باسمه بالقاهرة بحي باب الشعرية ويقام له مولد كل عام، وزاد على ذلك أن أغلب الحكام في دولة المماليك أثناء حكم مصر كانوا يبنون المساجد، ويجعلون بها أضرحة لدفنهم بها فاختلط الأمرعلى العامة أن كل ضريح لولي ففي مسجد الرفاعي العديد من الأضرحة لرجال ونساء من أسرة محمد على باشا، ومنهم قبر الملك فاروق الذي يتذكره جميعهم بحكم السن، فهل هؤلاء أولياء؟

ضحك أبو عبدالباسط عندما تذكر قصة محمد أبو قمر عندما أراد صهره زيارة الأولياء والصالحين بالقاهرة فصحبه إلى مسجد الحسين،

و دخل به للزيارة ثم خرج ليعود به من شارع آخر وباب آخر ليقول له: وهذا احمد الرفاعي، ومرة أخرى ليقول: وهذا ابراهيم الدسوقي، ورابعة ليقول: وهذا زين العابدين، فالكل أولياء والرجل له أن يرى الضريح.

قص عليهم عصام نادرة الرجلين الذين مات حمارهما فدفناه فمر رجل وقال: ضريح من هذا؟ فقالوا له: أنه الشيخ كذا، فجعل الناس تأتي بالنذور والأموال تبركًا بالشيخ إلى أن سرق أحدهم من نصيب الآخر، فأراد أن يقسم بصاحب الضريح فرد صاحبه :(دافنينه سوا) ومنها خرج المثل الشعبي، فربما كان صاحب الضريح مجرد خدعة من صنع منتفعين ومستغلين بساطة الناس وتعلقهم بالصالحين.

جلس طه أبو الحاج علي مع مأمور المركز بعد طلبه الذي وافقت عليه الإدارة الصحية بالمركز بشرط مرور ستة أشهر على تاريخ الدفن، كان موقف طه حرجًا جدًا بعدما قال له المأمور أنه في حال وجود تحلل بالجثة سوف يقوم بحبس جميع رجال عائلته، وسيحوّل القضية إلى محكمة أمن الدولة العليا فلا يرون الشمس بعدها، فليفكر للمرة الأخيرة، وليقرر بعدها ماذا سيفعل قبل الحصول على الموافقة الأمنية بالتصريح، وحدد له موعدًا جديدًا بعد أسبوع ليستشير إخوته، ويأتي بالرد النهائي وليته يكون التراجع ،فهم في غنى عن ما سيحدث

ويكفى أن قريتهم التي ما دخلها المأمور إلا لافتتاح الوحدة الصحية مرافقًا المحافظ، وما كان سيدخلها إلا في مشروع جديد، فهي من القرى المسالمة ليس لها في المشاكل وكذلك أهلها.

ذات ليلة وفي غياب الشيخ عبدالرحيم طلب المصلون رأي الشيخ صلاح في أمر الكرامات وما يدور في القرية، فاستحى أن يكتم العلم عن طالبيه فقال: الكرامات في عصر الصحابة كانت حال الحياة من الكثيرين منهم واضحة كعمران بن الحصين الذي نزلت الملائكة تستمع لتلاوته، وسارية الذي سمع صوت عمر بن الخطاب رغم المسافة ما بين المدينة ومصر دون أجهزة اتصال، وحنظلة الذي غسلته الملائكة، وخولة التي سمع الله قولها فنزل فيها القرآن، وبراءة عائشة رضي الله عنها من الكرامات وغير ذلك لكثير منهم، أما الولي الصالح سره بينه وبين ربه، لا يحب أن يظهر فتقل درجته بتعظيم الناس له، فهو يريد ولاية الله لا ولاية الناس، وإن كان بالفعل وليًا لله، فما عمله إلا لنفسه فقط لا لغيره، فربما دفع الناس لشرك خفي دون شعور منهم فيطلبون منه ويدعونه من دون الله، فقال أحد الجالسين بعفوية الرجل البسيط: (دا كدا يبقى كل اللي دبحناه للمشايخ دا حرام علينا وكأننا عبدناهم، والله ما كنا اما ندبح الضحية ونستنى ندبح علشان ختمة الشيخ بالجدي بتاعه، كأن هو اللي رباه، دا احنا مغفلين قوي يعني).

خرج طه من المركز حزينًا قلقًا، فربما يكون الأمر به تهديد صريح من المأمور؛ ولكنه يثقأن والده من الأولياء الصالحين و ما حدث كان كرامة من كراماته، بالإضافة إلى ما حدث من زيارته لأشخاص آخرين من خارج القرية، وإخبارهم بما يجعله يصدق رؤيتهم، ولكن لماذا لا يزور المأمور فيقنعه ونستريح، فقد زار كثيرين مسلمين ومسيحيين، فلماذا لا يزوره فينتهي الأمر؟، جلس بالمقهى المواجه لموقف السيارات المتجهة للمحافظة و المراكز الأخرى ليشرب الشاي والشيشة قبل عودته، حتى لا يظهر توتره اللحظي لإخوته، فهو الأكبر وتوتره يزيدهم خوفًا فيتكرر الخطأ الذي بسببه هو الآن في تلك الحيرة.

ابتسم عندما عرفه من ظهره بارتفاع أطراف شاربه بعيدًا عن وجنتيه، وكأنهما قوسان يحيطان بوجهه، ناداه قائلاً: أبو أحمد ... يا صابر ... إنت يا ديب.

نظر صابر خلفه ليجد طه يبتسم ابتسامة عريضة فاتحًا ذراعيه لاحتضانه فتقدم ناحيته مرحبًا، جلسا وتحدثا حول ما تم من إجراءات يقوم بها طه، وما وصل إليه العمل في تشييد المقام وحول العراك بين صابر وأولاد همام؛ فبرر كل منهم عدم تدخله بما أرضى الآخر، فأخرج صابر بعض النقود لطه قائلاً أنها مساهمته في بناء المقام،

وسيرسل بعض شباب العائلة للمساعدة غدًا فهو دومًا منشغل بالحقل والتجارة، قبل طه المبلغ بشرط أن يسهر معه الليلة عند المقام، فما بينهما من مصاهرة وصداقة تجعل له الحق في بعض الوقت ليزوره، فقبل وانصرفا ناحية القرية معًا.

ذكاء طه أن يجعل تأييد الديابة بحضور كبيرهم ضربة قاصمة للحاقدين من العائلات الأخرى وخاصة عائلة همام وما يطلقونه من سخرية وادعاءات باطلة ضدهم، فالذين يميلون لكفة الديابة مصاهرة وصداقة كثيرون، فبالتبعية سيحضرون تباعًا مما يجعله يقلل دائرة التفكير بالقرية ليجعل كل ذهنه موجه ناحية المأمور، وليفعل الله ما يريد فقد مرّ أكثر من شهرين على الدفن، وفي الفترة المقبلة لابد من الانتهاء من تشييد المقام والانتهاء من تجديد المسجد بعدما توقف العمل به بعد وفاة الحاج علي، وربما يكون في الانشغال بذلك ابتعادًا عن الهموم المتراكمة التي كادت أن تودي بحياته غمًّا و حسرة.

حالة الشك بداخل المأمور جعلته ضمانا للحيادية ينتدب الدكتور عماد بطرس ميخائيل ليتابع أمر نقل الجثة بمنتهى الشفافية بعدما علم بميول مدير الإدارة الصحية الصوفية، وأرسل تقريرًا لمدير الأمن بذلك محددًا يوم وساعة نقل الجثة في حالة عدم تنازل طه عن الطلب المقدم، ولإرسال قوات دعم من المديرية للإشراف الأمني على تنفيذ

المهمة، وذيّل تقريره بملاحظة أنه في حالة وجود أي ظواهر تشير إلى حدوث اضطرابات أمنية سيقوم باعتقال كل المتسببين فورًا وقبل حدوثها، وسيقوم بأخذ توقيع طه على وإخوته وأبنائهم البالغين سن الرشد على إقرار بذلك.

كانت كل نظرات طه لأخيه سعد كلها عتاب، فهو المتسبب لما هم فيه الآن، لولا خوفه من تهديدات الضابط ما قام بكشف وجه أبيه ودفنه سرًا قبل طلوع الشمس وتجمع رجال القرية الذين كانوا سيقفون بجوارنا، بدلا من انقلاب بعضهم وتكذيبهم الأمر برمته، فلم يفد ما قام به من الابتعاد عن المشاكل بل زادها وجعلهم في قلب رحاها تطحنهم ليل نهار، ليس من الضابط وحده الذي أعلنها صريحة اليوم بقرارات الاعتقال التي ستخفى كل أثر لعائلة راشد من على الوجود، ولكن من أهل القرية الذين أعلنوا ليلتها أنهم أصحاب الشأن وليس أولاد الحاج علي، فتركوا الأمر وتفرقوا غضبًا مما تم من خلف ظهورهم بالإضافة إلى ما بيننا من خصومة لم يكن أبوك ليرضى عنها أبدا حال حياته.

على الجانب الآخر كان سعد يعي جيدًا ما تقوله عيون أخيه من لوم صارخ يجلد جسده كلما التقت عيونهما فقرر ترك أولاده للعمل في تشييد المقام وانصرف هو لاستكمال تجديد واجهة المسجد، فقد قرر

أن يتسع الباب الرئيسي مع عمل درجات ثلاث ليرتفع عن مستوى الأرض لحمايته من زخّات المطر في الشتاء بعد ارتفاع الشارع فقام بالاتفاق على عمل عمودين على جانبي الباب، وصب كتلة خرسانية فوقهما كواجهة لباب المسجد، بعد تقدير الارتفاع الجديد، كان يحاول أن لا ينتهي العمل في تجديد واجهة المسجد حتي لا يضطر إلى العمل معهم في تكملة العمل في المقام فتتلاقى العيون، وتبدأ في تكرار نظرات اللوم التي تحمل نارًا يحرق جسده، وكأنه فعل دون مشورتهم أو لحماية نفسه فقط، فما هو إلا اليد التي نفذت ما أقره الثلاثة.

بعد صلاة العشاء أخذ صابر بعض أكياس السكر وعلب الشاي والدخان، وتوجه ناحية المقام تلبية لدعوة طه، فالرجل محل تقدير، ولا يجب أن يحرج فيفهم معان غير مقصودة كرفض لمبدأ بناء الضريح أو معاداة الولي، وإن كان يريدها كتقرب فهو بالفعل قريب وصهر، مرّ في طريقه على المسجد القديم، فسلم على الرجال العاملين في تجديد واجهته، وترك بعض ما يحمل عندهم كتحية منه، واختص سعد بسلام خاص مخبرًا إياه أنه سيسهر عن المقام مع أخيه طه، وليته يحضر معهم، كان يعلم بما في نفس أولاد الحاج علي ناحية سعد بعدما دفن والدهم خوفًا من تهديدات الضابط، كان ينوي بحكم ما بينه وبين طه من عشم أن يتوسط بينهم لحل الأزمة القائمة، لتعود الأمور

كما كانت فما حدث هو ما كتبه الله، ولولا أن أراد الله ذلك لما حدث، فلا سبيل لفتح أبواب الشماتة من المتربصين بهم، وكان على يقين بقبول شفاعته من الأبناء الأربعة، أخبره سعد أنه سيقوم بفك التحميلات الخشبية للخرسانة لاحتياج العمال لها صباحًا في علم دوران قبة المقام ثم يلحق به، أكمل صابر سيره وسط تحايا من يراه مخمنًا ما سيتناقله الأهالى صباحًا من تقارير حول تلك الزيارة.

(٧)

الشهيد

بين أصوات التهام النيران لحطب موقد الشاي، وضحكات صابر وطه وتقاسيم صوت جذب الأنفاس من الشيشة النحاسية، سمع صوت انهيار ضخم وصرخات عالية اختلط فيها صوت الرجال بصيحات النساء؛ مما جعل الجميع يهرولون ناحية مصدر الصوت باتجاه المسجد القديم وسط قلق وترقب، انقباضة صدر طه جعلته يدرك وقوع كارثة عند المسجد، فما من أحد غير الذين يعملون هناك بالشارع.

تجمع عدد كبير حول المسجد بعد ازدياد حدة الصراخ الذي انبعث من أرجاء المكان، فكل من يعلم بالحادث لا يستطيع أن يتحمل بشاعة المنظر، انتقل الخبر من فم لفم، ومن بيت لبيت ومن شارع لشارع؛ حتى كان معظم أهل القرية أمام المسجد، من لم يستطع المزاحمة لرؤية الحادث كان يسمع ممن رأى؛ فتنهمر دموعه إشفاقًا على أطفال تيتمت ورجل ذو أخلاق عالية يصارع الموت المحقق بعد تهتك جسده؛ فما استطاع إلا نطق الشهادتين مرتين ولم يكمل الثالثة حسب ما قاله شهود العيان، أسرع صابر وطه يشقان طريقهما بين الناس ليكونا أمام المشهد مباشرة، لم يستطع طه أن يتحمل رؤية أخيه سعد وقد

شق جسده بعد اختراق الحامل الخشبي لصدره عندما ثقل السقف الخرساني الذي لم يجف بعد، فانهار مرتكزًا على الحامل الخشبي الذي أسنده سعد إلى صدره محاولاً جذبه كما فعل بسابقيه، اختلط الرمل والتراب بدماء سعد التي انسابت كجدول يروي عطشها، احتضنه طه بينما صرخاته تشق أرجاء القرية متحسرًا على ما مرَّ من فترة التخاصم بينهما، فغرقت ملابسه بدماء أخيه حتى أنه شعر بالتصاقها على جسده، كان لابد من عمل أي شيء، فهرع صابر رغم يقينه بموت سعد لطلب سيارة لنقله للمستشفى حالاً، فقام بحمله بين ذراعيه وانطلق تتبعه الرجال في سيارات أخرى ناحية مستشفى المركز، أشاع أنه على قيد الحياة ليهدأ الناس، فمجرد الذهاب به لأي مكان أفضل بكثير من تركه هكذا وسط هذا الجمع من الأهالي، وخاصة بعد انهيار الرجال، فكيف بالنساء من عائلته أو أولاده؟.

فور دخولهم المستشفى ذهب به إلى غرفة الكشف بجوار غرفة الاستقبال، واراحه على سرير الكشف وأغلق بابها؛ ثم ذهب إلى الطبيب النوبتجي وأخبره الأمر كاملاً؛ طالبًا منه عدم كشف حقيقة موته الآن حتى يهدأ الناس ويستكمل إجراءات تصريح الدفن ومحضر الشرطة، وأكد على أن لا يخبر أحد من أمن البوابة أحد من المنتظرين بحقيقة الأمر، لكي لا يتسرب الخبر إلى القرية مؤقتًا.

عدم خروج صابر أو ربيع أو طه أو محمد جعل الناس تظن أن سعد ما زال على قيد الحياة ويتم إسعافه، فلم يتمكن أحد من الدخول بعدهم، فهم الذين كانوا في السيارة التي تحمل المصاب، كان صابر أكثرهم صلابة، فمشاعر الأخوة تجعل التفكير بعد رؤية هذا المشهد لأخيهم صعبة جدًا إن لم تكن مستحيلة، فقام بجمعهم وقال لهم : (الأجل انتهى وكفاية إن ربنا كرمه بالشهادة وكمان في بيت ربنا، مش عايزين بهدلة لأخوكم، الظابط ييجي ياخد سؤلاته وناخد بعضينا بسكات ونروح نجهز الأمانة علشان ندفن الصبح) ثم انهار باكيًا (الله يرحمك يا سعد، ويجعلك في الجنة).

اقتنع الإخوة بقوله وحاولوا التماسك؛ رغم هول الفاجعة وسقوط ركن من الأركان الأربعة بعد سقوط سقف البيت بموت الحاج علي، خرج صابر بعدما نظف ملابسه من الدماء ليشتري كفنًا وحنوطًا دون أن يشعر أحد بشيء لحين حضور الضابط، كان موظف الاستقبال بالمستشفى قد استغل الموقف لصالحه، فأشاع أن المصاب في غرفة عمليات الطوارئ ويحتاج إلى الكثير من الدماء تعويضًا عما فقده بالنزيف، فتقدم العديد للتبرع، ما إن عاد صابر بالكفن حتى وجد العديد منهم قد تبرع، فقبض على عنق الموظف مهددًا: (دا جاي ميت.. بتعصر دم الناس ليه؟ خلي عندك دين).

تقدم بمساعدة طه ومحمد وربيع لتغسيل الجثة وتكفينها بالمستشفى استعدادًا للدفن، فصرخات السيدات حال عودتهم به هكذا كما أتى وطلبهن رؤيته ربما تسبب فيما هو أفظع مما هم فيه الآن، ولولا أن تؤخذ عليهم لخرجوا به نحو المدافن مباشرة، فرجال القرية أغلبهم ينتظرون خارج المستشفى، ولكن أبوالمجد المراكبي لن تستطيع أي من مراكبه الشراعية عبور النيل ليلاً، وسينتظرون للصباح، فالحل الأمثل البقاء في المستشفى للفجر؛ ثم التوجه نحو القرية للصلاة على الجثمان ثم التوجه إلى المدافن، اقنع الإخوة بسداد رأيه فوافقوا.

سرعان ما انتشر خبر وفاة سعد في القرية، فقام المؤذنون ببلاغ الخبر في ميكروفونات المساجد ليعلم الناس، وليصل الخبر إلى القرى المجاورة، عبر من يسهر في زراعته يروي فيوصل بدوره لأقارب ومعارف الميت للقيام بواجب التشييع والعزاء، فاجتمع عدد كبير من الناس أمام منزل الحاج علي المطل على المسجد الذي شهد النهاية المأساوية لسعد، ومازالت آثار الدماء على الأرض لم يستطع أحد مواراتها بالتراب أو الرمال إشفاقًا على مشاعر أهله.

كانت صرخات زوجته ووالدته وبناته تشق أرجاء السماء منادين باسمه، وسط نحيب من رجال تعرف قدر هذا الرجل الذي لم يكن له إلا

سيرة طيبة مع الجميع سواء كبارًا أو صغارًا رجالاً أو نساء مسلمين أو مسيحيين، حتى في خلافه الأخير مع إخوته بشأن دفن والدهم، كان بدافع الخوف عليهم، ولكن الملفت للنظر أنه لم يحضر أي شخص من عائلة همام حتى ولو مستطلعًا للأمر، مكتفين بما صدر عن بعضهم من تهكّمات عن فكرة بناء ضريح جديد للولي ابن الولي، وما سيختلق من ادعاءات بشأن ظهور كرامات له أيضاً.

بإشارة من المستشفى وصل الأمر إلى المركز، فحضر نائب المأمور لأخذ أقوال الشهود من الحضور والطبيب النوبتجي لنفي الشبهة الجنائية واعتبارها حادث سقوط حائط، ثم توجه بسيارة الشرطة ناحية موضع الحادث للمعاينة، وأخذ أقوال شهود العيان، لفت انتباه الضابط، وعلى مقربة من المنزل والمسجد اقتراب النهاية من بناء الضريح المخصص لنقل جثمان الحاج علي بناء على طلب أولاده بتفويض لأخيهم الأكبر طه، وكانت المفاجأة ضمن أقوال الشهود أن سمع من قال له إن ما حدث عقابًا لاعتراضه على الموضع الذي اختاره الولى، وكشف وجهه لتزول مؤقتًا كراماته حتى يدفن، وها هو قد حل به العقاب، فالولي لا يفرق بين عدو قريب وعدو غريب؛ فالعقاب من الله الذي قال في الحديث القدسي (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)، فهي حرب من الله وحكى للضابط عن واقعة قديمة لا

يذكرها معظم الأحياء من أهل القرية، فقد وقعت منذ عشرات السنين، حيث ظهرت كرامات لرجل صالح اسمه أحمد خطاب، ودار بالرجال رافضًا الدفن إلا في موضع محدد؛ ولكن طبيب الصحة عندما علم بأمر كشف وجه الولي من بعض شيوخ الصوفية الكبار، قام بذلك وبعد دفن أحمد خطاب بما يقرب من شهر، أصيب ذراع الطبيب بالشلل وكان اسمه الصواف، وكان شهيرًا بالمركز حتى تستفسر عنه حال تكذيبي، ثم أردف قائلاً: (يا بيه الناس بتوع ربنا ماحدش يقدر عليهم وسعد غلط، لكن عمله الحلو طول عمره خلاه ينطق الشهادتين مرتين ومالحقش يكمل التالتة).

عاد الضابط ورأسه منشغل بما قال الرجل المسن، فلا يكاد يقطع بصدق أو كذب الرجل؛ أو اعتبار ما قال مجرد تخاريف شيخوخة، فالرجل يعلم الحديث القدسي ويذكر أشخاصًا بأسمائهم وحوادث قد مرت، أهو يريد أن يبلغ رسالة ما أم هي حكايا من رجل وجد من يسمعه دون مقاطعة فاسترسل، ولكنه غريب عن المركز، فهو من محافظات الوجه البحري ولا يعلم أن ضابطًا استمر في مكان عمله لأكثر من خمس سنوات أو سبعة، على أقصى تقدير، فمن سيخبره بذلك، ولو استفسر في الإدارة الصحية فالأمر منذ عشرات السنين كما قال، فمن الذي يكون بوظيفته من وقتها إلى الآن؟ كل تلك الأسئلة

دارت في رأسه كمن يتحقق في قضية يجمع تحرياتها ولكن يعود ليقول مالي وذلك؟ لكنه قرر في نفسه أمرا سيفعله صباحًا.

عند ظهور أول شعاع للشمس تحركت السيارات تحمل جثمان سعد أبو الحاج علي نحو المقابر بعد صلاة الجنازة في مسجد آخر بعيدًا عن منزله؛ للإسراع في الخروج به بعيدًا عن ما سيحدث من مهاترات نساء عائلته، وما سيأتي به من صراخ وندب حال رؤية النعش، كان الصمت والنحيب وربما البكاء بصوت مسموع هو الحالة الغالبة على معظم المشيعين، متذكرين أخلاقه وأدبه الراقي وما أكرمه الله به من حسن الختام ينطق الشهادتين.

كان صابر الديب قد أرسل صبيًا من أبناء إخوته لإحضار جلبابا وعمامة غير الذين تلطخت بالدم مساءً ليشيع الجنازة حاثًا الصبي على الإسراع ليعود بما سيبدله، رغم الحاح أخيه أن يأخذ واحدة مما عليه، فمن عادات كبار العائلات أن يلبسوا جلبابين وربما ثلاثة، فهو يعلم أن رسالته طمأنة لأسرته التي لم تعلم عنه أي أخبار منذ خروجه وقت العشاء، كذلك لن يعود بعد الدفن مباشرة؛ فلابد أن يجلس ليستقبل العزاء ولو للظهيرة مطمئنًا لوجود جمال ابن عمه المقيم معه بالقيام مع ولده أحمد بأعمال الحقل وجلب البرسيم للماشية.

بجوار جثمان والده رقد جثمان سعد، وبعد أقل من شهرين ليعود الإخوة الثلاثة على اتفاق واحد، وهو الطاعة لكل ما يقوله كبيرهم طه فهو الآن مكان والدهم، حتى لا يشمت من ينتظر الشماتة، فيكفى ما حدث بانهيار ركن من الأركان الأربعة، مد طه يده المرتعشة نحو جثة والده الحاج علي كمن يطمئن على كونها ما زالت كما هي ولم تتحلل، ولكنه تراجع قبل أن يصل إليها مراعيا حرمة الموت، وخوفًا من عقاب كالذي عوقب به سعد كما يقولون بناء على رواية مسامح بكر التي قصها للضابط، قائلاً في نفسه (يوم ما ترسي هانيجي جنب أبونا ومهما يكونمن بهدلة في المركز مافيش قد اللي اتحمله سعد) لاح في مخيلته مشهد سعد أثناء الغسل وأثر الجرح الذي مزّق صدره؛ فسرت في جسده قشعريرة انتبه منها على صوت ربيع الذي يطلب منه الخروج من المقبرة لتلقي العزاء.

سرت الهمهمات أثناء عودة المشيعين حول ما قاله مسامح للضابط، وهل بالفعل قد حدث هذا الأمر في جيل سابق بالقرية، وهل ما حدث لسعد عقابًا من الله لجريمته التي ارتكبها في حق والده، فكيف يكون قد حاربه الله لمعاداته الولي وكيف ينال شرف نطق الشهادتين قبيل الموت بشهادة الجميع، فهل لم يصل إلى حد المعاداة بل الخوف فقط أوصله لهذه النتيجة التي أودت بحياته، و هل أحفاد أحمد خطاب

يعرفون قصة جدهم؟، وإن كانوا يعرفون فلماذا لم تسمع بها القرية إلا اليوم؟، ولو كانوا لا يعرفون فلماذا لم يخبرهم آباؤهم بها تكريمًا لجدهم الولي المحارب من طبيب الصحة الذي انتقم الله منه بشل ذراعه عندما كشف الوجه فاختفى السر؟، مئات من الأسئلة تدور في عقول الناس ويخرج بعضها همسًا مراعاة للموقف لا أكثر، فعند العودة للقرية لابد من انعقاد مجالس حولها والاستماع تفصيليًا لأحداثها من مسامح بكر، أو من يعاصره من أقرانه، ليتضح أمر الرواية بشاهد آخر يثبت أو ينفي.

كان طه وأخويه يعلمون ما يدور في عقول الناس، وأن سيرتهم بدأت كلقمة في أفواههم، ولكن يكفى ما بينهم وبين عائلة همام من عداء ظاهر، جعلهم لا يقومون بواجب العزاء في سعد وإن كان على أقل تقدير رجل من القرية، فليس لديهم عزيز، فها هو صابر الديب ابن خالة كبيرهم وما بينهم من أكثر من مائتي حالة من المصاهرة بينهما، كانوا يريدون إهانته بالعراك معه في منزلة مستغلين انفراده بحظيرة الماشية، كي تكسر شوكة عائلة الديب، وسبحان مسبب الأسباب فوجود صابر الليلة كان له دور كبير في مساندتهم في تلك المصيبة التي نزلت على رأس كل منهم دون استثناء، فكان عقله مفكرًا لهم وبدا تعامله كشقيق لهم.

بعدما انتهت أيام العزاء الثلاثة توجه طه إلى مركز الشرطة بيده طلب جديد، يود أن يمهره المأمور بخاتم شعار الدولة وتوقيعه، ولكن ليس لنقل جثة سعد ولكن لتغيير اسم المسجد من الجامع القديم إلى مسجد الشهيد سعد علي، ليتم عمل لافتة كبيرة تعلق على بوابة المسجد تخليدًا لذكراه، وكانت المفاجأة أن وافق المأمور دون الرجوع إلى إدارة الأوقاف، ولكن بشرط كتابة مسجد الشهيد سعد علي المسمى بالمسجد القديم.

لم ينتظر طه حتى يعود ليبشر إخوته بموافقة المأمور على تغيير اسم المسجد، ولكنه توجه ناحية مكتب خطاط وجعله يبدأ في عمل اللافتة ليتسلمها قبل نهاية اليوم مهما كانت التكاليف، ثم ذهب إلى المقهى ينتظر انتهاءه منها، فربما يكون ذلك مصدر سعادة لأولاد أخيه الأيتام، وكذلك تدعيمًا لموقفه أمام رجال القرية بعد حصوله على التصريح بها ممهورًا بتوقيع المأمور شخصيًا، فبعضهم لا يصدّق ما يقوم به من إجراءات نقل جثمان والده، بل يتندرون على الضريح بقولهم: (يبقوا يربطوا فيه الحمير زي قلس الطواحين).

تنهد تنهيدة عالية جعلته يستشعر ما يخبئ صدره من لهيب يتحمله كاتمًا كل صيحات الألم بداخله فهو الكبير وذاك قدره، كان يتمنى أن تسير حياته على منوالها السابق، فيعود من حقله قبيل

الظهر ليقوم بتنظيف المسجد قبل موعد الصلاة، مؤديًا واجبه كخادم للمسجد، ثم يستريح لوقت العصر ليعاود العمل بالحقل، وبعد العشاء يشارك في حلقات الذكر والإنشاد سواء كانت في القرية أو خارجها، فلا تفوته حلقة فهو خليفة خلفاء وشيخ طريقة له اسمه على مستوى المركز، بعد أن انتقل إليه اللقب من والده رسميًا ومن قبل ذلك أيضاً فقد كان ينوب عنه في زفة مولد النبي ليركب حصان الخليفة، ويطوف به شوارع المدينة في حضور قيادات المركز، فمنذ وفاة الحاج علي ثقلت على أكتافه الحمول وها هي تزيد بوفاة سعد ومسئولية أبنائه الأيتام، تجول ببصره في الجالسين بالمقهى علّه يجد من بينهم من يعرفه ليسامره بدلا من ملل الجلوس منفردًا، فربما تأخر الخطاط ولكنه لم يجد أحدًا فعاد ليطلب تعميرة جديدة مع كوب شاي وجعل صبي المقهى يرسل كوبًا آخر للخطاط بمكتبه قائلاً: (واجب من الراجل بتاع يافطة الجامع).

عند وصوله القرية في سيارة تحمل اللافتة المغطاة بورق الجرائد، توجه ناحية المسجد مباشرة، فوجد بعضًا من الذين جاءوا للعزاء جالسين على الدكك أمام منزل والده ومعهم إخوته الذين لم يكونوا يعرفون له طريقًا منذ الصباح، فقام بالتبسم في وجوه الجميع الذين تعجبوا من مشاعر الفرح التي تعتري ملامحه، رغم أن عزاء

أخيه الصغير لم ينتهى بعد، ولو كان يحاول مجاملة القادمين إليه لتقديم واجب العزاء، فليس هناك أي مجال لابتسامته، فهم يعرفون مدى حبه لأخيه الراحل وتأثره الشديد أكثر من الجميع بوفاته، حتى أنهم كانوا في أيام العزاء الأولى يفتقدونه فيبحثون عنه، حتى يجدونه في الموضع المحبب لسعد بالمسجد جالسًا يبكي بحرقة كطفل ضل من يد والدته، ظنوا أنه ربما يصاب بجلطة، فكانوا لا يتركونه وحيدًا خوفًا عليه من الحزن، فهو كالجمل لا يظهر حزنه أمام الناس بل يختزنه، قطع ريبتهم التي بدت في عيونهم، فأمر إخوته بإخراج السلم الكبير من صالة الوضوء وإحضار مسامير كبيرة وشاكوش من رضا النجار، كان طلبه هذا مصدر تعجب أكبر، ولكنهم رغم ذلك لا يملكون إن يعترضواعلى ما أمر به، أو حتى الاستفسار عن سببه، فزادت ابتسامته عندما جعل خالد الولد الأكبر لأخيه سعد يقوم بنزع الأوراق من على اللافتة؛ ليقرأ بصوت مرتفع؛ حتى يعلم من يجهل القراءة من الحضور ما بها، ثم أخرج التصريح بها والموقع من مأمور المركز ليقرأه عليهم أيضًا، ففرح الجميع واحتضنه إخوته وأبنائهم وسط دموع افتقادهم الشقيق الرابع الذي سيخلد اسمه مدى الحياة لتعرفه الأجيال القادمة، وزاد من فرحتهم أنه قام بتعليق اللافتة بنفسه، بعدما قص عليهم ما حدث طوال اليوم وإصراره على العودة بها، واتفاقه مع الخطاط أن يستعد لعمل واحدة أخرى، لتكون على مقام الحاج علي.

تصادف مرور عصام عائدًا من الجامعة بالشارع فقد علم أن جدته لأمه متوعكة بعض الشيء فعزم على زيارتها قبل انشغاله بأعمال الحقل نظرًا لغياب والده للعمل بالعاصمة، فقرأ اللافتة ثم ألقى التحية على الجالسين وأكمل مسيرته مفكرًا في ذلك اللقب الذي أضيف المرحوم سعد علي؛ فهو حقًا شهيد هدم، فليس الشهيد شهيد القتال فحسب، ولكن تعجبه الأكبر كان سببه أنهم كانوا يعتقدون أن سعد هو من أخطأ في حق الولي، وموتته ما هي إلا عقابًا من الله على فعلته، فكيف يكون بعد ساعات قليلة هو الشهيد المسمى باسمه المسجد؟، تذكر قصة السائل للشيخ قائلاً: ما شأن ربك اليوم فقال: يرفع أقوامًا ويخفض آخرين.

لم يكن التهكم وحده هو وسيلة عائلة همام كاعتراض منهم على اعتقاد البعض بولاية الحاج علي، ولكن كانت الشكاوى المقدمة منهم للمركز والأوقاف وللجان الفتوى أكثر، سواء كانت بأسماء بعضهم أو بأسماء مستعارة؛ لتعطيل التصريح الذي تقدم طه للحصول عليه، بل الأنكى من ذلك تقدم أحد أبنائهم لاختبارات المأذونية بدلا عن المأذون المتوفى، والذي انتقلت حصته بالتبعية إلى مأذون القرية المجاورة؛ حتى يعود مجد جدهم الحاج أحمد همام مرة أخرى بحصول حفيده على اللقب، رغم عدم قبوله لدى الكثير من الناس.

(٨)

اجتماع

مرت الأيام بين شد وجذب وتهكمات وشكاوى لم تصل إلى حد المواجهة مطلقًا؛ فهم يدركون مدى دخولهم في مشاجرة ربما تكون سببًا في انقلاب السحر على الساحر، وبها ينال أولاد الحاج علي تأييدًا مطلقًا من باقي عائلات القرية، وخاصة بعد ما نشب من عداء بينهم وبين عائلة الديابة فقدوا فيه ما تبقى من هيبتهم، وانضمام صابر الديب علانية لطه وإخوته، ضاربًا بما بينهم من مصاهرة وقربى عرض الحائط، رغم محاولات للصلح قام بها كبارهم نتيجة لتجاوز الصغار الذين اغتروا بقوتهم وكثرتهم ضد رجل متقدم في العمر، فجعلهم أضحوكة القرية بعدما عدد لهم من سقطوا قتلى منهم وقاتليهم يمرحون على أرض القرية لا يخشون انتقامهم فهم أقل شأنًا من الحريم.

(ياعم الحاج سيبك بلاش كلام فاضي، الشيخ الباتع يحمي تابوته) قالها مسامح في مجلسه أمام دكان دسوقي عندما علم أن فاضل ابن

أخت حميدة ووريثها المنتظر قال وأقسم أنه بعد موتها سيهدم كل الأضرحة التي قامت ببنائها، ثم أكمل (دا متعلم في الأزهر، ولازم يكون عارف إن فيه أولياء، لما إحنا اللي ما اتعلمناش عارفين، وإن كان عارف من زمان وساكت دا يبقى كيف مستني عشان البيت، طب بشرع ربنا بقى ولاد خاله ليهم قده مرتين في ورث عمتهم، والا دا راخر مش في الدين؟، الناس عايز دين على مزاجها).

اجتهد العمال في الانتهاء من تجديد واجهة المسجد القديم بعد إزالة البوابة الكبيرة التي كانت مجرد فكرتها سببًا لموت سعد وفقط، فهي كلمة القدر وقد قيلت ولا حاجة لها، فاستغل الطوب والمؤن في إنشاء مئذنة للمسجد لتكون الأولى في تاريخ القرية، بعد تزيينها بالأضواء الخضراء، لتشير إلى تلك القرية البعيدة عن الطريق بحوالي كيلومترين؛ لتقول للرائي هنا قرية الولي، وكذلك تم الانتهاء من تشييد قبة المقام ودهان حوائطه استعدادًا لاستقبال الولي باحتفال المولد الأول له ليتكرر سنويًا في نفس التوقيت.

انضم كل من ينتمون للصوفية على نفس الطريقة التي كان يتبعها الحاج علي إلى مجلس ولده طه، فلا يتغيبون ليلة واحدة رغم أن خليفتهم من خارج المركز، ويقدسون ذكر اسمه بل أطلق بعضهم اسمه على أبنائهم للتبرك ويزينون مجالس بيوتهم بصوره الكبيرة ذات

الأطر، بل تسابق بعضهم بعمل صور كبيرة للحاج على، فوضعوا واحدة داخل المقام مواجهة للباب وبجوارها نقش (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، كذلك توافد المريدون من أبناء الطرق الصوفية مجاملة لطه، وردًا لمجاملاته السابقة فكان العدد كل يوم يتزايد عن سابقه، ومعه بدأ توافد مجموعات أخرى على استحياء من كبار رجال العائلات بالقرية لتقديم الدعم سواء مادي أو معنوي؛ فلا يجوز أن يكون الفضل للغرباء وأبناء القرية موجودين لا يحركون ساكنًا.

في هذه الليلة لم يكن طه كعادته من مسامرة ضيوفه، بل كان شاردًا كمن ينتظر أمرًا ربما ارتفع به إلى عنان السماء، وربما سقط به فخسف به وبداره الأرض، لم يخبر بما داخله أحد مطلقًا، لكنه منذ عودته عصرًا وهو شارد الذهن قليل الحديث، لم يجرؤ أحد على سؤاله عما يؤرقه خوفًا من رد فعل غاضب منه، فالجميع يعلم كم ما يحمل من مشكلات، ولكن لابد له من شريك يعاونه في هذه الأثقال التي كلت منها أكتافه، نظر في عين ربيع أخيه الأوسط وابتسم وقال: (عايز اشوف أبوك بكرة يا واد يا ربيع، تيجي معايا؟)، فهم ربيع مقصده من البسمة المصاحبة للسؤال فابتسم مكررًا: (بكرة بكرة؟) أشار برأسه كعلامة التأكيد، لم يتحمل ربيع مجرد تناول طرف الحمل من على

أكتاف أخيه فانهارت قوته، صرخ هاتفًا: (الله أكبر ميتى يا طه، قالوا لك ميتى؟)، تغيرت ملامح طه ليعقد حاجبيه غاضبًا من تسرع أخيه رغم فهمه كلام الرمز فقال: (مين اللي قالوا لي، هو لما أعوز ازور ابويا لازم بإذن يا اهبل انت؟ أنا غلطان اني قلت لعيل، معاك عيال متجوزة وبرضه هاتفضل عيل)، ثم اتبع كلماته بضحكة حتى لا يشمت أحد فيهما، وينتشر الخبر أن طه شتم ربيع، وربما تصل بعد ما يضاف إليها أنه سب والديه وضربه بالحذاء أمام الناس، أو استلا الأسلحة في وجوه بعضهم، لكن عين الديب كانت ترقب وتسجل وتتكلم قبل أن ينطق صابر موجهًا حديثه لطه: (ما تجيب عنك نفسين بدال ما انت ماسك الشيشة وحدك، هات يا راجل أنا معاك أهه)، فهم طه مقصده فضحك واقترب منه وقال: (والله انا قلت كه يا أبو أحمد؛ خد يا عم واشرب انشاله للفجر).

بعد تأخر الوقت لمنتصف الليل، وانصراف أغلب الرجال من مجلس طه، انفرد بأخويه محمد وربيع بحضور صابر وبعض كبار الشخصيات من القرية، كان يتعمد تأخيرهم عن الانصراف كلما استأذنوا قائلاً: (يا جماعة الفاتحة على كتمان السر)، بعد قراءة الفاتحة قال: (النهاردة روحت المركز وخدت التصريح بتاع نقل الحاج علي واتحدد بكرة الصبح بإذن الله، هايروح نائب المأمور ودكتور الصحة علشان

يكشفوا على الأمانة، وقالوا لي مش عايزين شوشرة في المدافن لمصلحتك انت واخواتك ما تعرفش حد وتعالى مع نفرين تلاتة وأن حصل النقل هات البلد كلها لكن قبل كدا أي حاجة على مسؤليتك، ومضيت على إقرار بكه يبقى إيه رأيكم؟، أنا هاصلي الفجر وآخد محمد وربيع وصابر واللي عايز ييجي فيكوا نروح المركز علشان نروح مع الظابط، واللي عايز يروح على المدافن يستنانا ماشي، بس ماحدش يقول حاجة لغاية ما ربنا يتمها بخير).

كانت الفرحة على وجوه الجميع، مؤكدين أن الله لن يخذلهم وسيرجعون ومعهم جثمان الحاج علي ليستقر في المقام، ولكن لابد أن يعلم الناس، حتى لا يقال من عائلة همام ما لا يحتمل، فوجود الناس ورؤيتهم للمشهد أفضل من كتمانه عنهم، كانت الآراء متضاربة بين الإفصاح عن الموعد وتكتمه، وكل رأي له مبرراته المقنعة، إلى أن جاء القول الذي اتفق عليه الجميع من خالد الولد الأكبر المرحوم سعد فقال بأدب: (بعد إذن أبويا طه أقول حاجة، انتوا روحوا وأنا على الساعة تسعة أقول لعم جلال الحلاق وهو هاينشر الخبر في البلد كلها، وانا هاجيب الخشبة والكفن الجديد من عند ستي وأجيلكوا بالعربيات على البر الغربي أنا وولاد اعمامي، أول ما الناس تشوفنا الكل هاييجي معانا واللي مش هايلحق يحصلنا).

أعجب الجميع بما قاله خالد، وتم الاتفاق على خروجهم من صلاة الفجر منفردين ناحية الموقف ليجدوا سيارة نجيب في انتظارهم، وانصرف الجميع بعد أن تم مسح أرضية المقام، وتنظيف الساحة أمامه بيد شباب العائلة وسط فرحة كبيرة يدعون الله أن تكتمل.

لم تكتحل عين طه بنوم هذه الليلة، فقد عاد بعد انصراف الجميع ليجلس على المصطبة الطينية أمام منزل والده ناظرًا إلى المسجد ولافتته الجديدة التي تحمل اسم أخيه، وللمئذنة المضيئة التي ما كانت منذ أشهر قلائل، تذكر الباب القديم للمسجد الذي اعتاده منذ أن ولد وفرح في طفولته باشتهار المسجد باسم والده عندماأصبح إماما له، وتلك الزينات التي كان يصنعها بيده فيجعلها تصل ما بين المنزل وبينه في بدايات شهر رمضان، وأول مرّة يمسك بالميكروفون ليؤذن للصلاة، وعندما قبلت مستنداته ليصبح خادمًا به، فما من موضع قدم إلا يعرفها ومستها يده أثناء تنظيفه لها، والمنبر الخشبي العتيق الذي طالما صعده الحاج علي قبل حصوله على المأذونية وبعدها، وصوته الرنان ذي النبرة المميزة التي طالما انتظرها الشباب في صيغة إشهار الزواج، وتألقه كعريس كل مرة بعباءته وعصاه وعمامته وتلك اللحية المحددة أطرافها لترسم بالشعر الأبيض هلالاً من النور حول ملامح وجهه القمحي، خاصة في صبيحة يوم العيد، حينما كان يخرج وحوله

الأربعة أولاد يرتدون الجلابيب البيضاء، فيخطب خطبة العيد ثم يصحبهم لتهنئة الجيران، تذكر سعد بأدبه وحيائه الشديد واحترام الغريب قبل القريب له، ومدى إخلاصه في العمل بمصنع السكر مما جعله محل تقدير مديريه الذين أطلقوا عليه لقب الشيخ سعد لما رأوا من تقواه وتمسكه بكتاب الله دومًا، وابتعاده عن الحرام فكان يأخذ سكر شايه في المصنع من البيت؛ حتى لا يقع في شبهة باستعمال سكر المصنع المتراكم بالأطنان مثل غيره، وتقبيله ليد والديه منذ صغره فعلمها لأولاده وأولاد إخوته جميعًا، مما جعل الكبار يقلدون الصغار، ورضاه بكل ما يقدم له فلا يعيب شيئًا أبدًا ولا يقارن نصيبه بنصيب غيره كمحمد الصغير، فختم الله له حياته بختام حسن شهيدًا ناطقًا للشهادتين، ها هي الدنيا في شهور قلائل رحل الحاج وولده وتغير مظهر المسجد وربما يتغير شكل المنزل أيضاً بعد اقتسام محمد وورثة سعد؛ فبالتأكيد لن تقبل أرملته الزواج بعده، ولا يصح إلا أن يقسّم المنزل، فيشق جدار بين القسمين ليفصل حجرة الحاج على عن مكتبه المواجه لها، وكأنما كان اختياره أن يكون البيت الداخلي لي ولربيع حتى لا تتملكني الحسرة، مسح دمعات سقطت على طرف خده بطرف عمامته ثم طرق باب المنزل مناديا أخيه محمد.

أيقظ صابر الديب زوجته ليخبرها بغيابه عن القرية بعد صلاة الفجر، وعليها أن تجعل أحمد يقوم بأعمال الحقل وإطعام الماشية صباحًا بمساعدة جمال إلى أن يعود، فأحمد وإن كان صغيرًا لا يستطيع تحمل تلك المشاق؛ لا يمكن أن يعتمد على جمال بمفرده، فهو ما زال يعيش بعقله في زمن مرّ عليه ما يزيد عن ثلاثين عامًا منذ أن دخل مستشفى الأمراض العقلية بالقاهرة للعلاج، فرغم الوساطات التي اجتهدت ليخرج بعد ما أصبح لا يمثل خطرًا على الناس، بل وتعرّف على كل أقاربه، إلا أن الزمن متوقف عند لحظة ذهاب عقله عندما شاهد جارته تعارك والدته، فضربها بالفأس، وعندما ظن موتها هرب إلى الحقول مما أصابه بلوثة عقلية، كان وحيدًا ويمتلك أرضًا وماشية شأن أبناء عمومته من الديابة، وبعد وفاة والدته ورثتها زوجة صابر لكونها خالتها، فاستضافه صابر بعد خروجه وجعله يعاونه في أعماله لصغر سن ولده، وكم من مرة يمازحه الأقران بشراء ماشية مما يرعاها فيبيعها لهم بسعر الأيام الماضية، ويمضي بالنقود فرحًا ليخبر صابر الذي يشتاط غضبًا ويذهب ليعيدها، أو يستكمل الثمن من ذلك المازح، مؤكدًا عليه في كل مرّة ألا يبيع ولا يشتري، بل يظل للرعي فقط، ومن أراد الشراء يرسله إليه ليتفقا أولاً، كثيرًا ما يغضب إخوة صابر من معاملته لجمال، فمهما كان هو ابن عمه وليس خادمًا، غير أن ميراث والدته وأرضه وبهائمه ومنزله في حيازة صابر، فهو لا

ينفق عليه إلا من ماله، فكان يغضب من انتقادهم لعلمه أن أحدًا منهم لن يتحمل ما يوقعه فيه من مشاكل بسبب سوء إدراكه، هو بالفعل يعرفهم وتعرّف على أولادهم الذين ولدوا أثناء علاجه بالقاهرة، ولكن ما زال يتعامل على كون الملك فاروق ملك مصر والسودان ترك الحكم لمحمد نجيب وجمال عبدالناصر، وآخر ما يذكره هزيمة النكسة، وما زالت الأسعار كما كانت وقتها، والأدهى من ذلك أنه اقتنع بما أخبره به جلال الحلاق على أنه نصيحة لله، فطلب الزواج ويصر على خطبة واحدة من جيله قد ماتت قبل خروجه من المستشفى، فكلما رأي جلال يقول له ذكّر صابر أن يخطبها، فيضحكون مطالبينه بتزويجه منها، لم يحاول النوم حتى لا يتثاقل جسده فلا يدرك ما انتوى فعله صباحًا؛ فجلس يشرب الدخان أمام باب حظيرة الماشية كعادته مع بعض الشاي الذي يساعده على الإنتباه أكثر، بعد أن اطمئن على عدم وجود ما يستدعي حضوره نهارًا فربما تأخر لليل.

تسلل نجاح بعد سماعه لبعض العائدين من مجلس طه لترتيبات الغد دون أن يروه، بعدما اختبأ في زاوية شارع جانبي، وغيّر اتجاهه من الزراعات القريبة من مشارف القرية موضع لعبه للقمار، إلى الجانب الغربي من القرية ليخبر عائلة همام بما سمع وما سيكون في الغد، طامعًا في علبة سجائر من كبيرهم كما عوّده كل مرّة ينقل فيها أخبارًا

هامة، فهو رغم احتسابه على رجال الطريقة الصوفية؛ إلا أن الجميع يعرفون أنه به كل ما يشين كلمة الرجولة مما جعله اشتهر باسم والدته فلا يعرف مطلقًا بين الناس إلا عندما يذكر اسمها، نجاح ابن سالمة، وتلبس أخيه الأصغر من قبل بسرقة ساعة حائط المسجد قبل الفجر، فتركه طه بعد أن أشبعه ضربًا وشنّع به جلال بين الأهالي، لكنهم لا يستحيون من أفعالهم، تنهد عبدالله كبير عائلة همام وقال غاضبًا: (طب هانروح فين في انصاص الليالي دلوقت وتلقى المركز كل اللي فيه عساكر نايمة، ما عرفتش يا ابن الجزمة تيجي من بدري تقول؟ طب يا واد شفتش صابر الديب كان معاهم والا لع؟) كانت إجابات نجاح قاطعة أنه لا يعرف إلا ما سمع وأبلغه به فهم تحدثوا بعد انصراف الجميع، ولولا عودته مصادفة لما علم بالأمر إلا صباحًا كغيره، ثم استبطأ مكافأته فطلبها لينصرف، ففي الغد مفاجآت عديدة للجميع ولابد له من ركوب الأمواج الرابحة.

دخل طه حجرة والده و بعدما سلّم على أمه التي مازالت تبكي ولدها سعد إلا أنه استأذن في فتح دولاب والده ليخبرها بما يهون حزنها بعدما تبتسم له كعادتها، أخبرها بفرحة عارمة للقرية كلها ستكون بعد ساعات، وهي عودة والده الحاج علي ليستقر في المقام، وستقام ليالي مولده من الغد ولمدة أسبوع كامل احتفالاً بولي الله،

فهذه هدية من الله لتعوضها فقده، وكذلك حسن ختام سعد كان مبشرًا بالخير والسعادة، فهو أيضًا يفتقده في هذا اليوم ولكنه قدر الله ولا هروب منه، انتزع منها بسمة باهتة وكفكف دموعها بيده ثم قبّل رأسها طالبًا دعواتها له ولإخوته، ثم أخرج من ملابس أبيه جلبابين وعمامة وعباءة وعصاه، ما إن لبسهم حتى كاد يكون نسخة من والده؛ فمن يراه من بعد يظن أنه الحاج علي وليس ولده طه، ثم نزل في هيئته الجديدة مع بداية قرآن الفجر ليفتح المسجد للمصلين.

قرآن الفجر عبر ميكرفونات المساجد يسري في كل منطقة ليوقظ أصحاب الفجر من المصلين، وكذلك من يعملون في المركز أوالمحافظة كموظفين عموميين، للتأهب للخروج تقديرًا للمسافة وندرة وسائل المواصلات، وكذلك للنساء؛ ليقمن ببعض أعمالهن المنزلية من حلب الماشية وتجهيز إفطار المنزل، أو ما سيخرج للعاملين بالحقل، كان ارتفاع ميكرفون المسجد القديم أو كما أطلق عليه جامع الحاج علي هو الوحيد الذي يبث الصوت القرية كلها وربما للقرى المجاورة لارتفاع مئذنته، فأراد طه أن يجعل خالد بن سعد يؤذن للصلاة مقلدًا صوت جده الحاج علي، فهو دائمًا كان يفعل ذلك في حياة جده، فيفوز بهداياه من مناديل الزفاف وبعض الجنيهات هدية العريس مقابل حمل الحقيبة لجده المأذون، فرح خالد بالفكرة عندما رأى عمه

طه سيذهب في ثياب جده كأنه يقول: (اللي خلف ما متش) فهرع ليرتدي جلباب والده سعد ولبس طاقيته البيضاء مبتسمًا لعمه الذي أكد عليه أن ينتظر دقيقة لينتهي المؤذنون قبله، حتى يتميز صوته، فرحب بالفكرة التي ستجعل مفاجأة عودة جثمان الحاج علي ممهد لها بالأذان بصوت يشبهه، وربما ظن البعض في المسجد بوجود الحاج وولده سعد حال الصلاة.

توافد المصلون نحو مساجد القرية تلبية لنداء الصلاة، بينما أحاط الكسل بأخرين فلم يستيقظ بعضهم وتمادى في النوم حتى اخترق أسماع الجميع صوت الحاج علي يؤذن لصلاة الفجر، ظن البعض أنه ربما أخطأ السمع، فترقب منتظرًا تكملة الأذان ليتأكد من شكوكه، فجاءت النبرة المميزة مع الإتكاء على حروف معينة ألفتها الأذن منه، فتعجب الجميع من الأمر فمن غير المعقول أن يكون الحاج علي هو المؤذن!، حتى لو أوتي من الكرامات ما أوتي؛ فكيف يرد إلى الحياة مرّة أخرى ليؤذن الفجر؟ وإن كان صوت يقلده بهذه الحرفية والمهارة لدرجة خداع أسماعهم فلماذا اليوم دون غيره؟ ولماذا هذا التوقيت؟ لابد أن بالأمر سر كبير سيعلن اليوم، كانت التكهنات بين المتوجهين الصلاة من جهة وبين من تكاسل في بيته من جهة أخرى هي الحلقة المفرغة التي يدور بفلكها الجميع ليصلوا إلى نفس السؤال لماذا الآن

بالتحديد؟ توجه عدد كبير ناحية جامع الحاج علي أو كما أطلق عليه مؤخرًا مسجد الشهيد سعد علي ليستكشفوا الأمر، كانت المفاجأة لكل من يدخل فينظر إلى ناحية القبلة فيجد أن الحاج علي وولده سعد يجلسان في الصف الأول يقرأن القرآن بعد ركعتي الفجر كاد العديد منهم أن يشك في نفسه، فيسرع بالدخول ليفاجأ بأنهما طه وخالد فتزيد دهشته أكثر من قبل تحققه منهما، ويعود إلى نفي الدائرة المفرغة بسؤالها الذي ينتظر الإجابة لماذا الآن؟.

(٩)

المولد

تحرك ركب المأمور وطبيب الصحة وبعض من قوة المركز متوشحين أسلحتهم ومعهم طه ومحمد وربيع أبناء الحاج علي، ويتبعهم في سيارة نجيب كبار العائلات الذين علموا بالخبر من طه ليلاً، من طريق المعديات النيلية تعبر السيارتين إلى البر الشرقي، ثم إلى طريق مدافن القرى الواقعة غرب النيل بينما صوت نبضات القلوب يكاد أن يكون أعلى من صوت محركات السيارات قلقًا من نتيجة كشف الطبيب، فكلمة واحدة منه كفيلة بسعادة مركز بجميع قراه وليس أسرة فحسب، وكلمة أخرى تمحو ذكر عائلة بأكملها في غيابات السجون، وربما تنصل الجميع من الأمر وتركوا تحمل نتائجه على أولاد الحاج علي وحدهم، وربما خاف بعضهم على مصالحه الشخصية فادعى أنه كان مراقبًا للأمر لا أكثر، فما تقرب أحد من أكثرهم إلا منذ فترة وجيزة، فابتعادهم سيكون أسرع من اقترابهم، فأغلب الناس تحب الربح السريع السهل دون جهد، ولكنها أمانة القسم.

لم ينتظر خالد وأبناء عمومته حتى الموعد المحدد لإبلاغ أهالي القرية، فقام أحدهم بالإبلاغ في ميكرفون المسجد أن اليوم هو نهاية الشهر السادس لوفاة جده الحاج علي، وسيتم الآن عرض الجثمان على طبيب الصحة لتوقيع الكشف والتصريح لنقله المقام، فمن أراد فليذهب إلى المقابر أو ينتظر عودتهم به، أبلغ الخبر وانتظر فوجد تتابع إعلانه في المساجد الأخرى، مع قدوم رجال كثيرة تهرول لتلحق بهم، بينما تجمعت الجرارات الزراعية بمقطوراتها لتحملهم إلى البر الغربي من النيل وسط فرحة وترقب كبيرين، وارتفاع أصوات الزغاريد من النساء.

قام حسن الحفار بفتح المقبرة التي تضم رفات الحاج علي وولده سعد، ونزل هو والطبيب فقط بعد أمر الضابط الحضور بالجلوس انتظارًا لقرار الطبيب، دون أي تصرّف قد يتسبب في إلغاء التصريح نهائيًا، فقد وصلت فجر اليوم شكوى جديدة من مجهول تحذر من تنفيذ القرار، حتى في حالة ثبوت ولاية الحاج علي، لتربص البعض لأفراد معينة من القرية طلبًا للثأر، فالاحتفال سيكون أرضًا خصبة لتنفيذ جرائمهم، فأغلب المؤيدين لديهم أسلحة نارية بدون تراخيص، وسوف تستخدم في الاحتفال، وسيكون من الصعب العثور على الجناة، أو أدوات الجرائم، لذلك ورغم علم المأمور بكيدية الشكوى، قام بطلب

دعم من المديرية تحسباً لأي فوضى تتم، وتجهيز قرارات اعتقال ينقصها الأسماء فقط، فلابد من التعاون معه لحين الانتهاء من تقرير الطبيب، وإلا فسيتخذ إجراءات أمنية مشددة ضدهم جميعًا.

جلس المصاحبون لأولاد الحاج علي من كبار العائلات بعيدًا عن موضع الضابط نجاة بأنفسهم من تهديداته التي أطلقها، وحتى لا يكون أحدهم سببًا في فتنة ستقع؛ وسيتحمل نتائجها طه وإخوته قبل الجميع، فكلهم متأهب بالفعل لإخراج ما يخفي من أسلحة وذخيرة ليحتفل بالولي الجديد ويظهر قدرعائلته أعلى من غيرها، وبالقطع لن يتم إلا يتغافل الضابط كما يفعل في كل مناسباتهم، ولكن اليوم وبفعل عائلة همام هو في غير حالته المعتادة، فربما كان من كتب الشكوى ولدهم المحامي الذي يطمح أن يكون مأذونًا للقرية، فهو حفيد أحمد همام وصهر ولده عبدالله رأس الأفعى والعقل المدبر لكل أفعالهم المشينة، رغم تمسحه في الدين ليقال عنه الشيخ رغم قراءته الخاطئة للقرآن الكريم في أكثر من مأتم، وكذلك محاولته الفاشلة لصعود المنبر ذات يوم فألجمه الصمت، وما نال غير التهكم من كل من سمع بالواقعة.

نظرات متتالية بين الضابط وطه، يعقبها ابتسامات باهتة تدل على توتر لا يمكن كتمانه، ولكنها فقط سبيل وحيد لبث الأمن في قلب أخويه الصغار، تقدم ناحية الضابط طالبًا كلمة على انفراد فأجابه لما

أراد، طلب أن يكون هو المسئول الأول والأخير في حالة خروج تقرير الطبيب عكس ما يريد، فإخوته لا شأن لهم وكذلك رجال العائلات الذين يساندونه بالحضور الآن، فما من أحد منهم إلا وبه ما يكفيه وأسرته، أما هو فقدره أن يكون الولد الأكبر، وعليه أن يتحمّل ذلك المكتوب، ابتسم الضابط من شجاعته وربت على كتفه مطمئنًا، ثم أقسم أن تكون تحية الولي بعد تأكد الطبيب منه شخصيًا وبمسدسه الشخصي وبيده، ثم كشف له عن تتبعه لسجلات العاملين بالصحة منذ وقت بعيد، وتأكده من وجود اسم الدكتورأحمد الصواف الذي ذكره له الرجل المسن، وتأكد أيضًا من إصابته بشلل في ذراعه مما أدى إلى تقاعده المبكر، مما يؤيد رواية مسامح، ابتهج طه أقول الضابط ومال عليه ليحتضنه ودموع الفرح تتراقص في عينيه.

كانت مراكب أبوالمجد الثلاثة تشق الأمواج متوجهة للشاطئ الشرقي، تحمل عددًا كبيرًا من الرجال والأطفال الذين لم يتمكن أحد من إعادتهم للانتظار في الجرارات لحين عودتهم من الجبل، وسط تهليل وأهازيج نظمت بعفوية لتتغنى باسم الولي الجديد الذي تنتظره القرية، كان ما يحملون من بيارق وطبول يجعل من يراهم يتبعهم بدافع الفضول والمشاركة، فازداد عددهم أكثر وأكثر، وذلك بعد انضمام القرية المطلة على النيل من الجانب الغربي والتي يسكنها عضو

مجلس الشعب وولد عمدتها الكبير، فقام بتحيتهم بإطلاق الأعيرة النارية ابتهاجًا ومشاركة منه، وردًا لجميل قريتهم في مساندته أيام الانتخابات التصويت له بكل أصوات القرية دون غيره.

وصل صوت الطلقات النارية من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فميزه الضابط بكونه من بندقية آلية، وهي القطعة التي لا يجرؤ أحد على استخدامها علنًا غير سيادة النائب وأفراد عائلته لما له من حصانة برلمانية، فعلم بقدوم أهل القرية إليهم فاقترب من المقبرة ليستطلع أمر الطبيب قبل حدوث أي هرج حول المقبرة من القادمين.

خرج الطبيب تاركًا الحفار بالدخل ليعلن لهم مضمون تقريره في كلمتين فقط: ألف مبروك، وكانت الكلمة هي البرد والسلام على قلوب الحاضرين، حتى الضابط نفسه، فعانق طه مهنئًا له، ثم أخرج سلاحه الناري وأطلق ستة أعيرة، وقال وفيت بوعدي لك يا حاج طه؛ ثم أمر العساكر أن تطلق النار ابتهاجًا وتحية للولي وأهله، تقدم طه ناحية باب المقبرة والدموع تتساقط على وجهه قائلاً: (شرفتني ورفعت راسي يا ابويا) ثم عاد إلى مرافقيه يحتضنهم باكيًا، بينما تتردد منهم كلمات التهنئة له ولإخوته.

كان صوت الرصاص القادم من الجانب الشرقي للنيل ردًا قاطعًا بثبوت ولاية الحاج علي، فزادت الطلقات النارية من قبل عضو مجلس

الشعب وأهل قريته، بعدما أفهمهم أن ما أطلق أولا من الضابط كتحية بمسدسه، فتبعه العساكر ببنادقهم وليس كما ظن البعض أنهم في مشاجرة بالأسلحة مع أولاد الحاج علي، ورده هذه المرة ستكون مضاعفًا واحدة للولي والثانية الضابط الذي قام بالتحية، ثم جعل كل المراكب الشراعية تتوجه ناحية الشرق حاملة الرجال والطبول والبيارق لاستقبال الولي وأهل قريته الذين يجمعه بهم مصاهرة وجيرة أراض زراعية في زمام قريتهم، ثم توجه في مجموعة من كبار عائلته إلى الجانب الشرقي من النيل.

زينت أشرعة المراكب بأغصان الأشجار والبيارق، وقرعت الطبول وسط هتافات وتكبير وتهليل، بينما كانت مراكب أبوالمجد قد وصلت البر الشرقي وأفرغت حمولتها من الناس الذين سارعوا بالجري نحو الجبل الذي يضم مجموعة مقابر القرية يتقدمهم خالد سعد حفيد الحاج علي يحمل لفافة بها الكفن الجديد يتبعه أبناء عمومته يتبادلون حمل الخشبة التي ستضم الجثمان إلى أن يستقر في ضريحه المشيّد بالقرب من مسجد ودار الحاج علي، يتبعهم الرجال والشباب والأطفال كل حسب سرعته في الجري وإن كان ينافس غيره لعله يحظى بمشهد لم يراه غيره، ليكون له انفراد قصه على الناس، وتليهم المراكب الأخرى يقودها أبناء الريس أبوالمجد.

نزل طه وإخوته إلى الحفار داخل المقبرة لتبديل الكفن القديم بالجديد، حتى تنتهي إجراءات النقل بالطريقة القانونية التي حددها نائب المأمور من التوجه إلى مقر الدفن الجديد بالضريح، وانزال الجثمان بحضوره، ثم إضافة جملة في نهاية التصريح تتضمن وعمل احتفال لمدة سبع ليال ما بين أنشاد وقراءة القرآن الكريم، نظر طه إلى جثة أخيه سعد فزادت دموعه المنسابة غزارة، فكم تمنى أن يكون هو الركن الرابع كما كان، ولكنه نال شرف الشهادة والقرب من والده قبلهم بأربعة أشهر، كفكف دمعه حتى لا يؤذي مشاعر خالد الذي انتظر بالخارج مطيعًا لعمه، رغم رغبته في النزول بديلاً عن والده، ولكن كلمة عمه فوق كل رغبة مهما كانت، ولكن لجبر الخاطر حسابات أخرى، نظر في عيني اليتيم وابتسم قائلاً: (يا واد يا خالد مد إيدك أتناول سيدك، دا لو سعد برضه ماكانش نزل أمال مين يتناول مني يا ابن الغالي) شعر خالد بقيمته وقيمة والده عند عمه الأكبر الذي رفع قدره رغم صغر سنه أمام كبار العائلات، فتقدم وتناول الجثمان مدعمًا بيد الشيخ مصطفى بركات شيخ البلد من ناحية، وصابر الديب من الناحية الأخرى، ليخرج محمد وربيع حاملين الجانب السفلي ليتبعهم طه وحسن الحفار لإغلاق المقبرة.

كان توافد الناس قد تزايد عن الحد الذي تستوعبه الممرات بين المقابر، والكل ينافس ليكون في موضع يتيح له المشاهدة والاستماع، فمنهم من تسلق القباب التي تكون للاستراحة عند الزيارات، ومنهم من وقف على جدران المقابر والأحواش إلى أن تم إغلاق باب المقبرة، ثم تقدم طه وإخوته مستعيضًا عن سعد بولده، ليرفع الجثمان دون الخشبة أمام الناس جميعًا ويقول: هذا هو الولي، هذا هو أبي الحاج علي، هذا هو شرف الصوفية وشرف العائلة القرية والمركز، ثم وضعه داخل الخشبة وسط هتافات الحضور وإطلاق رصاصات الصوت بعد استئذان الضابط لتبدأ رحلة العودة.

(١٠)

مقام جديد

بعد إقامة مولد العارف بالله الشيخ الحاج على أبو حسانين القاضي الرفاعي، كما كتب على لافتة المقام لمدة سبعة أيام تخللها توافد الباعة الجائلين بما يباع في تلك المناسبات من لعب اطفال وتذكارات من خواتم وسلاسل وحلوى وتسالي، وكذلك ما يجلب إلى هذه الأغراض من المراجيح ولعبة النيشان وكورة الحظ التي تدافع نحوها شلة نجاح، وامتلاء القرية بالعديد من مريدي الأولياء ومدعي الصوفية من جميع أنحاء المحافظة، ما بين مكحولي العينين، ومفتولي شعرالرأس، ولابسي المسابح المتعددة وبعض النساء ممن يطلقون عليهن أخوات الطريقة، ونماذج من البشر لم يعتدها أهل القرية إلا في المركز في احتفالات مولد النبي.

أقيمت الاحتفالات بحضور كبار المداحين والمنشدين ممن لهم شرائط كاسيت عديدة لما أقاموه من حفلات في محافظات بعيدة، وسهرات إلى طلوع الشمس إضافة إلى رواج عملية ختان الأطفال عند

المقام، فكان جلال وأولاده في عمل مستمر طوال أيام المولد، بعدما خفض أجر الختان عند المقام خمسة جنيهات للطفل الواحد، مما دفع العديد من الأسر داخل وخارج القرية أن تذهب بأطفالها التماسًا للبركة، ولتوفير فرق السعر، وكذلك راج نشاط ستوديو التصوير الذي ما كان يعمل إلا في بدايات تقديم المدارس فقط لعدد محدود من طلاب الابتدائية، لكون صاحب الاستوديو يعمل إداريًا بالمدرسة ليس إلا، فقام بطبع صورعديدة للشيخ وجعلها في أطر زجاجية أنيقة وفي أحجام مختلفة لبيعها المريدين، والتقاط الصور بجوار الضريح لمن يريد، كما نقل بعض باعة الفاكهة من أهل القرية فرشتهم حيث زحام ضيوف المولد لبيع كميات كبيرة، بينما كانت تتم استضافه المريدين من الضيوف في منازل قريبة من موضع المقام وبعض الخيام مما أطلقوا عليها خدمة الضيوف؛ ليجد بها الضيف ما يريد من طعام كالفول النابت أو العدس مع أكواب الشاي والدخان مجانًا، إلى أن تكون وجبة اللحوم في الليلة الختامية، فكان يصل للقائم على الخدمة من أكياس السكر وعلب الشاي وأموال النفحات دعمًا من أهل القرية أو من الضيوف أنفسهم أكثر مما أنفق بل أضعافه، مما شجع الكثيرين على عمل خيام للخدمة طمعًا في ما ستدره عليه.

بعد انقضاء أيام المولد السبعة وعودة كل إلى عمله، وانشغال الناس كعادتها بالجديد الذي ينسيها القديم بما فيه من أقاصيص تسرد في مجالس السمر ليلاً أمام البيوت والدكاكين، أو نهارًا تحت الأشجار في الحقول وفي الأكواخ بين الزراعات، أو في جلسات النساء أمام بيوتهن وقت العصر، وانحسار زيارة المقام تدريجيًا بعدما كان يرتاده المئات يوميًا، ليصبح زائرين أو ثلاثة وربما لا أحد، انتظارًا لموعد المولد القادم، فقد ذهبت وتلاشت الإثارة لدى الناس كما قال الشيخ لتلميذه الشاب (عيل تاه ولقيوه) ملخصًا لقصة سيدنا يوسف إلا أنه كان بالأفق مفاجأت.

بعد شهور قليلة من عودة جثمان الحاج علي من المقابر واستقراره في المقام، بدأ يشعر أتباع الطريقة الصوفية بمنهج الشيخ الغريب عن القرية أنهم مجرد تابعين لا شأن لهم، بعد أن سيطر طه وإخوته على زمام الأمور في مشيخة الطريقة الصوفية فتمت رسميًا الموافقة على تنصيب طه مكان والده كخليفة خلفاء عن المركز بصفة دائمة، فتفرقوا من حوله بعدما أزاعوا في القرية أنهم هم من صنع وهم الكرامات بالتحرك بالنعش، فلاقت كلماتهم كالعادة تأييد البعض ومعارضة البعض، إلى أن جاء اليوم الذي أعلنت فيه مساجد القرية

نعي أحد أبنائها المقيمين في القاهرة منذ سنوات، وستحضر الجنازة عصرًا ليخرج من منزل عائلته نحو المدافن.

كان الراحل يعمل بالإنشاد الديني في الموالد بالقاهرة، رغم عدم اشتهاره بذلك، كمن يحضرون لإقامة الليالي بمبالغ كبيرة وإلا لكان هو الأولى في الحضور لموالد الأولياء في مسقط رأسه؛ فإخوته من المنتمين إلى الطرق الصوفية والمتشددين في التأييد لها، خاصه أخويه الذين تركا مجلس طه عند المقام، تجمع الرجال لتشييع الجنازة بعد وصول سيارة الإسعاف تحملها بصحبة ولده الذي قال إنها وصية والده أن يدفن في مقابر أجداده أبناء شعبان، وعلى استحياء خرجت صرخات من نساء إخوته، لتعلن أن لديهن جنازة لا أكثر.

بعد صلاة العصر وصلاة الجنازة تحرك الموكب ناحية مدخل القرية للتوجه بالجرارات الزراعية نحو البر الغربي للنيل، كانت مراكب أبوالمجد تنتظر على الشاطئ فتوافد إليها الرجال بالنعش لتشق طريقها شرقًا، لتودع أمانة جديد بجوار أمانات تراكمت منذ خلق الله الأرض و ستستقبل أمانات جديدة إلى يوم الساعة.

عند الوصول إلى البر الشرقي كان من يحمل النعش هم نجاح أبو سالمة وإخوة المتوفى من أبناء شعبان، بينما يحيط بهم بعضًا من الذين تركوا مجلس المقام عند طه، بعد خطوات قليلة من نزولهم و

كان البعض لم ينزل بعد من المراكب، عادوا بالنعش إلى المركب وسط هتافات وتكبيرات أن كرامات الاولياء قد ظهرت، فأعادهم الولي ليدفن في مقام بالقرية، فعادت المراكب ناحية الغرب تحمل وليًا جديدًا ليطوف أرجاء القرية دون الدخول لمنطقة عائلة همام أيضًا، ثم يستقر في قطعة أرض لقريب لهم دخل في زمرة الشيوخ مؤخرًا بإطلاق لحيته، وافق صاحبها فورًا بالتبرع بقطعة أرض لبناء المقام، فبنظرته المستقبلية سيكون هذا المقام سببًا لبناء المنازل حوله، فيزداد سعر الأرض فلا ضير من إقامته.

لم تتدخل الشرطة فالأمر له سابقة منذ شهور قليلة، فتم بناء المقام في يومين، أولهما كان للمنامة التي وضع بها الجثمان، ثم استكمل البناء بالتبرعات أثناء إقامة الاحتفال بمولد العارف بالله الشيخ رياض شعبان الذاكر العالم مداح الرسول، كما كتب على جدران مقامه، ليتجمع فيه الفريق المنافس لطه وإخوته، ولسان حالهم يقول ليس لكم وحدكم، بل لنا أيضًا ولينا ومقامنا ومجلسنا.

أصبحت أعين الناس تدور منتظرة لكرامة من أي متوفى حال خروج نعشه من القرية، فكانت توقعات كثيرة لأشخاص معينين، فكان ذلك الشيخ المتطفل من المرشحين وينتظر أولاده أن يكون وليًا، بل هو نفسه طلب من الأسطى نبيل أن يحضر الطوب الأحمر لبناء مقام له

حال حياته، فظن الرجل به لوثة من الجنون وأخبر أولاده بعدم تركه وحيدًا، وكذلك ما توهمه أبوالعيون من ولاية والده بعد ما أوقنعه نجاح وأتباعه بذلك، طمعًا فيما كان ينفقه عليهم من ما جلبه من أموال نتيجة عمله بالخارج، فكان يسعى في استخراج تصريح لنقل جثة والده، و ربطه علمًا أخضرا فوق شاهد مقبرته.

أندر ما حدث كان يوم وفاة جمال الديب المقيم مع ابن عمه صابر، فعند خروج النعش من مسجد الشيخ عبد القادر بعد صلاة الجنازة وبعد خطوات قليلة عندما توقف الموكب لأقل من دقيقة أثناء دوران الشارع عند دكان دسوقي، فأطلقت فوزية زغاريدها وبدأت في التكبير مما أثارعبدالله همام الذي شارك في الجنازة لصلة القرابة بينه وبين صابر، فما إن سمع منها تلك الزغاريد إلا وتوجه رافعًا صوته للمشيعين قائلاً: (حرام عليكم يا ناس بلاش كفر مليتوا البلد قبور، اتقوا ربنا وبلاش تتوهموا، مشايخ إيه اللي كل شوية تطلعوها بأفعالكوا.....)، لم يطق صابر أن يكون لعبدالله يد عليا عليه وخاصة في جنازة تخص أحد أفراد عائلة الديب فهو لم ينس ما فعلوا، ولا هم نسوا ما فعل فقال لعبدالله بصوت سمعه الجميع مقاطعًا له: (روّح انت يا أبوهمام والله لو جمال رايح الجنة أنا هاوديه جهنم عشان ترتاح، بس روح خلينا نتوكل على الله) ضحك المشيعون من رد صابر الذي

جعل عبدالله يتراجع بعدما كان سيقول ويقول لو سنخت فرصته؛ انطلقت الجنازة نحو الجبل الشرقي وسط ضحكات وترحّم على جمال الذي ما فارقته البسمة الطفولية، فها هو يريد ضحكًا لا بكاء من أحد في يوم وداعه.

كانت أعين القرى المجاورة ترقب عن كثب ما تم في ما يقل عن عام من ظهور وليين والاحتفال بهما، وكأن الدين والتقوى والورع في هذه القرية دون غيرها، مما يجعل لها الشأن في المركز والمحافظة، فكان ذات يوم أن حُمل نعش لرجل يقال له محمد عطية من قرية مجاورة، ودار بالناس أو داروا به، ليحضر إلى القرية ويطوف بالوليين الجديدين دون غيرهما من القدماء، كرسالة لعدم الاعتراض من أهل القرية، ثم يعودون به أو يعود بهم لإقامة احتفالات بولي في قريتهم.

مع تشييد مقام الولي الذي وصلت أخبار عنه من مسقط رأسه أنه كان سليط اللسان مع الجميع، وكذلك ظهور كرامات لولي آخر في القرية الشمالية لقرية الوليين لكن هذا الولي لم يرهق أحدًا، فقد طاف كل شوارع قريته، ثم استقر بحقله المقام به منزله عند الحدود الجنوبية للقرية، فأقيم له مقامًا بحديقة منزله وكتب عليه، سلطان العارفين الشيخ العارف بالله الحاج صفوان عبدالرحيم.

أحداث كأنها حكايات جلال الحلاق عندما كان يضحكنا حال دفن رؤوسنا في حجره للحلاقة، وكأنه يطعمنا ما يقصه من شعر، أو سلخ وجوهنا بموسه الثلم وقت شبابنا، إلى أن مات ونكاته بيننا تضحكنا حينما نتذكره، فنقصصها على أولادنا بعد مرور ما يقرب من أربعين سنة من تلك الأحداث مرت كأنها لحظات في سباق العمر.

تذكر كل تلك التفاصيل رغم وخط الشيب الذي ارتسم في رأسه وشاربه ولحيته، وكأنه مازال ذالك الشاب الجالس على عرش المملكة بمجلس التوتة يستمع لنوادر الكبار ويوضح لهم ما رزق من علم، مرّ شريط الذاكرة أمامه فما نسي منه شيئًا عندما قصه على ولده الصغير بعدما استأذنه في أن يصحب زملاءه في المدرسة لحضور احتفال مولد الحاج على، وسأله هل كان رجلاً مثل الناس؟، فأحفاد أولاده معه بالمدرسة، فضحك مما سمع وجلس غير مهتم بما طلب الإذن به، وكأن عدوى ما قصه عليه والده عن جلال الحلاق، قد أصابته بنوبة من الضحك الهستيري فقال بعفوية (خلاص يا بابا، و انت كمان بعد عمر طويل نبني لك مقام ونكتب عليه العارف بالله الشيخ الحاج الأستاذ عصام الديب).

تمت

كوم الزهير في أغسطس ٢٠١٩

سيرة ذاتية للمؤلف

بيانات شخصية :

الاسم / جابر عبد الرحمن عبد الجليل علي

اسم الشهرة / جابر الزهيري

المؤهل الدراسي / ليسانس آداب (لغة عربية) ١٩٩٦

العنوان : كوم الزهير - أبوقرقاص - المنيا - جمهوريه مصر العربية

موبايل ٠١١٤١٧٢٨٦٢٥ _ ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

wadiabkr@ gmail.com

العضويات والمهارات :

شاعر و كاتب مسرحي وروائي

عضو اتحاد كتاب مصر

عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر فرع المنيا و أمين صندق الفرع

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سكرتير نادى الأدب المركزي بثقافة القاهرة من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٠

رئيس نادي الأدب بقصر ثقافة منشأة ناصر من ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠

رئيس نادي أدب أبو قرقاص فرع ثقافة المنيا

نائب رئيس جمعية فرسان الفجر

رئيس لجنة الأدب بجمعية فرسان الفجر

عضو هيئة التحرير بكتاب الفرسان الأدبي

عضو رابطة الأدب الحديث

عضو جمعية شعراء العروبة

عضو جامعة الشعراء بالمعادي

عضو مجلس إدارة رابطة الزجالين وكتاب الأغاني

أمين عام مؤتمر ثقافة القاهرة ٢٠١٠

محاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس نادي أدب أبو قرقاص فرع ثقافة المنيا

عضو الموسوعة الشعرية لشعراء العرب (ديوان العرب)

عضو الموسوعة الكبرى الشعراء العرب من ١٩٥٦- ٢٠٠٦

عضو موسوعة شعراء العامية

محكّم بالمسابقات الأدبية بوزارة الشباب وبعض الجامعات المصرية

المشرف على تنمية و اكتشاف المواهب الأدبية بمبادرة قصر الإبداع٢٠١٧ - ٢٠١٨

قام بالإشراف على تدريب المواهب الأدبية الشابة بالنشاط الثقافي بالحديقة الثقافية بالسيدة زينب الفترة من ٢٠٠٨ _ ٢٠١٢

مؤسس ومدير منتدى نادي أدب منشية ناصر بالإنترنت

مدقق لغوي بالعديد من دور النشر الخاصة

مدقق لغوي لكتاب النشر الاقليمي بفرع ثقافة المنيا ٢٠١٧ ومجلة اضاءات ٢٠١٨

<u>الجوائز</u>:

فاز بالمركز الأول في مسابقة أجمل قصيدة غزلية شعر فصحى عن قصيدة دعيني (الهيئة العامة لقصور الثقافة) عام ٢٠٠٥

فاز بالمركز الثاني في مسابقة شعر عامية عن قصيدة نبراس العلا (المجلس الأعلى للشباب)عام ٢٠٠٦

فاز بالمركز الأول في مسابقة قصائد منتفضة شعر عامية عن قصيدة بنت و ولد ٢٠٠٧.

فاز بالمركز الثاني في مسابقة الأغنية عن رابطة الزجالين وكتاب الأغاني فرع الأغنية الدينية ٢٠١٠

فاز بالمركز الثالث في مسابقة جريدة أخبار الأدب و مؤسسة المصري قصيدة عامية عن قصيدة كوم الزهير عام ٢٠١١

فاز بالمركز الأول بمسابقة إبداع المنظمة من قناة الفتح الفضائية ٢٠١٢

فاز بالمركز الأول في أفضل قصيدة فصحى محاربة السلبيات عن قصيدة إنما الأمم (المجلس الأعلى للشباب) عام ٢٠٠٧

فاز بالمركز الثاني في مسابقة دار الأدباء لأجمل قصيدة عامية ٢٠٠٨

فاز بالمركز الثاني في مسابقة شاعر الشرق مجال المسرح الشعري ٢٠١٦ عن مسرحية غدا ستشرق الشمس

فاز بالمركز الثاني في مسابقة شاعر النيل والفرات في مجال الشعر الفصيح عن ديوان لا ثالث لهما ٢٠١٧

فاز بالمركز الأول في مسابقة أوسكار النجوم عن المؤسسة العربية الدولية للفنون والأداب عن قصيدة مش نبي ٢٠١٧

فاز بالمركز الأول في مسابقة قصر التذوق بالأسكندرية في مجال الشعر الفصيح عن قصيدة معلقة ليست على الكعبة ٢٠١٧

فاز بالمركز الأول في مسابقة شاعر النيل والفرات مجال الشعر الفصيح الدورة الثانية عن ديوان السفر العاشق ٢٠١٨

فاز بالمركز الثالث بمسابقة عبدالستار سليم للشعروالنقد في مجال النقد عن كتاب ثنائية الصوت والصورة في الشعر الشعبي فن الواو نموذجا ٢٠١٩

تم عرض مسرحيته الشيخ على بالتعاون مع إدارة الدراسات والبحوث بفرع ثقافة المنيا لمسرح موجه يتبني قضية ذوي الاحتاجات الخاصة

التكريم :

تم تكريمه من الهيئة العامة لقصور الثقافة لتميزه الإبداعي عام ٢٠١٧

تم تكريمه من اتحاد كتاب مصر فرع المنيا بدرع الاتحاد عن مسيرته الإبداعية ٢٠١٨

تم تكريمه من المؤتمر الدولي لذوي الاحتياجات الخاصة في الأمسية الشعرية بمنحه الدكتوراة الفخرية ٢٠١٨

تم تكريمه من مهرجان ساكب الدولي للثقافة والفنون بالمملكة الأردنية الهاشمية كممثل للوفد المصري ٢٠١٨

تم تكريمه عام ٢٠٠٤ من قبل رابطة الزجالين عن ديوان (خلتيني)

تم تكريمه عام ٢٠٠٥ من جمعية على أحمد باكثير عن ديوان (بقايا رسائل محترقة)

تم تكريمه بنادي أدب المنيرة عام ٢٠٠٦ عن ديوان (شهرزاد) ومنحه وسام نادي الأدب

تم تكريمه بجامعة الشعراء بالمعادي عن ديوانه (شهرزاد)

تم تكريمه بمركز شباب المستقبل بالقطامية عام٢٠٠٦

تم تكريمه بمركز شباب الزاوية الحمراء بالقاهرة لمسيرته الأدبية ٢٠٠٧

تم تكريمه باحتفالية العيد الأول للفن بنادي الخالدين بالدراسة ٢٠٠٨

تم تكريمه من نادي المقطم الرياضي لإشرافه على النشاط الثقافي ٢٠١٠

تم تكريمه من جريدة أسرار الأسبوع لعطائه الإبداعي وإشرافه على تنمية المواهب ٢٠١٧

تم تكريمه من نادي بهجة الإسلام الأدبي لإشرافه على الأنشطة الثقافية وإدارته للملتقى الأدبي بالنادي ٢٠١٢

تم تكريمه من جمعية فرسان الفجر الثقافية لتميزه في مجال الشعر و النقد ٢٠١٠

تم تكريمه من التجمع المصري للأدباء الشبان عن مسيرته الإبداعية ٢٠١٦

تم تكريمه من نادي أدب منشأة ناصر في احتفالات عيد الشرطة ٢٠٠٨

تم تكريمه من لجنة حماية الثورة بدرع اللجنة لمسيرته الأدبية ٢٠١١

تم تكريمه من منتدى الجندي الأدبي لعطائه الأدبي ٢٠١٠

تم تكريمه عام ٢٠٠٦ من جمعيةعلى أحمد باكثير عن مشاركته النقدية في مهرجاني باكثير المسرحي الأول والثاني

تم تكريمه بمهرجان حلمية الزيتون ٢٠٠٩ ومنحه درع المهرجان

تم تكريمه من ثقافة القاهرة لجهوده المتميزة في تنمية المواهب ٢٠٠٩

تم تكريمه من جماعة خرابيش الأدبية في عيدها الثاني ٢٠١٢

تم تكريمه من جمعية دار النسر الأدبية لجهوده في مهرجان القصة الشاعرة الأول ٢٠٠٩

تم تكريمه من كلية الحقوق جامعة عين شمس بدرع الكلية ٢٠٠٨

تم تكريمه من لجنة حماية الثورة بمنشأة ناصر كأفضل رئيس لنادي الأدب ٢٠١٢

تم تكريمه من نادي أدب التذوق بالأسكندرية لجهوده في إثراء الحياة الثقافية ٢٠١٧

تم تكريمه من مؤتمر مائة ألف أديب حول العالم من أجل التغيير ٢٠١٦

تم تكريمه من اتحاد كتاب مصر فرع المنيا باحتفالات اكتوبر ٢٠١٧

تم تكريمه من مؤتمر شعر العامية الرابع بالشرقية ٢٠١٧

تم تكريمه من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة في مهرجان الشعر ٢٠٠٨

نوقش له بمؤتمر أسيوط لليوم الواحد ديوان قراية فنجان مكسور كنموذج للشعر العامي بمحافظة المنيا (دراسة بكتاب أبحاث المؤتمر)

نوقش له بمؤتمر أدباء مصر الدورة ٣١ ديوان وقال الزهيري كنموذج للشعر الصعيدي (دراسة بكتاب أبحاث المؤتمر)

نوقش له بمؤتمر المنيا لليوم الواحد ديوان شهرزاد كنموذج للشعر الفصيح (دراسة بكتاب أبحاث المؤتمر)

تم تكريمه من النشاط الثقافي بوزارة الشباب لإشرافه على تنمية المواهب الأدبية الشابة و تحكيمه المسابقات التي يقيمها النشاط الثقافي ٢٠١٧

تم تكريمه من الإدارة المركزية للدراسات و البحوث بالهيئة العامة لقصور الثقافة لإشرافه على تنفيذ برنامج إعداد الشاعر و تدريب المواهب الشابة ٢٠١٥

تم تكريمه من جامعة القاهرة كعضو لجنة تحكيم في مهرجان إبداع شباب الجامعة الرابع ٢٠١٧

تم تكريمه من نقابة العلميين بالقاهرة لمشاركاته الفاعلة في مهرجانات الشعر ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩

تم تكريمه من جامعة القاهرة في مهرجان وجدان مصر الثائرة ٢٠١٢

تم تكريمه من جامعة بني سويف في مهرجان مصر في عيون الشعراء ٢٠١٢

تم تكريمه من أكاديمية العلوم الهندسية في مهرجان الشعر ٢٠١٢

تم تكريمه من النشاط الثقافي بنادي الزهور بالقاهرة ٢٠٠٨

تم تكريمه من وزارة الشباب لتميزه الأدبي ٢٠٠٦

تم تكريمه من إدارة أبو قرقاص التعليميه لجهوده في تنمية المواهب ٢٠١٦

تم تكريمه من مؤسسة بنت الحجاز الثقافية لجهوده المتميزة في مجال الشعر والنقد ٢٠١٤

تم تكريمه من ملتقي نجوم المحروسة الثقافي عن جهوده في مجال الشعر والنقد والمسرح ٢٠١٤

تم تكريمه من مؤسسة مصر الحديثة لمسيرته الأدبية ٢٠١٩

نشرت له العديد من القصائد والتقارير الأدبية والدراسات النقدية بالعديد من الصحف والمجلات

شارك بالعديد من المؤتمرات الأدبية والمهرجانات الشعرية في جميع محافظات مصر

ضيف بالعديد من القنوات التليفزيونية المحلية و الفضائية شاعرا و ناقدا

أذيع له أكثر من ٢٠ حلقة في برنامج خطوات على طريق الابداع بالاذاعة المصرية (ناقدا)

تم تضمينه بموسوعة الشعراء العرب ضمن ١٤٧ شاعرا مصريا خلال الفترة من ١٩٥٦ - ٢٠٠٦

حاصل على العديد من شهادات التقدير والدروع من العديد من المؤسسات الثقافية

تناول أعماله بالنقد كبار الشخصيات الأدبية

له العديد من الأغنيات الملحنة والمغناة وأغاني بعض المسرحيات مثل

تاريخ مصر ألحان محمد عبد الدايم وغناء قمر

مين يا شباب ألحان محمد عبد الدايم وغناء تهاني

يا ست الكل ألحان محمد عبد الدايم وغناء احمد يحيي

لأ مش انتي ألحان محمد عبد الدايم وغناء أسامة منير

معانداني ألحان محمود يوسف غناء صفاء زهران

أغاني مسرحية مرجان و بهانة تأليف جودت سباق واخراج سيد السقا

<u>المؤتمرات</u> :

شارك في مؤتمر مئوية جامعة القاهرة ممثلا عن نادي أدب منشأة ناصر ٢٠٠٨

شارك في مؤتمر أدباء مصر ٢٠١٠ ممثلا عن ثقافة القاهرة

شارك في مؤتمر إقليم القاهرة الكبري و شمال الصعيد ٢٠١١

شارك في مؤتمر القصة الشاعرة و تحدياتها ٢٠١٢

شارك في مؤتمر اتحاد كتاب مصر شعبة العامية ٢٠١١

شارك في مؤتمر لجنة حماية الثورة ٢٠١١

شارك في مؤتمر التجمع المصري للمبدعين الشبان ٢٠١٤

شارك في مؤتمر العامية الثاني باتحاد الكتاب ٢٠١٥

شارك في مؤتمر أسيوط لليوم الواحد ٢٠١٥

شارك في مؤتمر المنيا لليوم الواحد ٢٠١٥

شارك في مؤتمر مائة الف أديب للتغيير حول العالم ٢٠١٦

شارك في مؤتمر المنيا و انتصارات أكتوبر ٢٠١٧

شارك في مؤتمر إقليم وسط الصعيد الثقافي ٢٠١٨

شارك في مؤتمر أدباء مصر ببورسعيد ممثلا لفرع ثقافة المنيا ٢٠١٩

شارك في مهرجان الشعر بجامعة الفيوم احتفالا باليوم العالمي للغة العربية ٢٠١٧

شارك في مهرجان الشعر بجامعة بني سويف بعنوان مصر في عيون الشعراء

شارك في مهرجان الشعر بجامعة القاهرة بعنوان وجدان مصر الثائرة

شارك في مهرجان الشعر الشعبي سامر بن عروس لفن الواو بمتحف سعد زغلول

شارك في مهرجان الشعر الصعيد يتنفس شعرا بمحافظة سوهاج

شارك في مهرجان نسائم الإبداع للشعر في محافظة أسيوط

شارك في مهرجان الشعر بقصر الأمير طاز ٢٠١٢

شارك في مهرجان أوتار للإبداع الشعري فقرة فرسان الصعيد

شارك في مهرجان الشعر بأتيليه الأسكندرية

شارك في مهرجان الشعر بالقليوبية بعنوان ليلة مع فن الواو

شارك في مهرجان الشعر الدقهلية احتفالا بالراحل عبد الفتاح البحراوي

شارك في مهرجان الشعر بالاسماعيلية احتفالا بالعيد القومي للمحافظة

شارك في مؤتمر كلنا واحد بمحافظة المنيا بالتعاون مع هيئة قصور الثقافة

شارك في مؤتمر العامية الرابع بمحافظة الشرقية

شارك بمؤتمر ليالي الجنوب بمحافظات المنيا و اسيوط و القاهرة

شارك في مهرجان العزف بالكلمات الأول بمكتبة مصر العامة بالدقي

شارك في مهرجان الشعر بمناسبة أعياد الربيع بحديقة الأورمان

شارك في مهرجان شعر العامية الأول لأسرة إضاءات أدبية و نقدية

شارك في مهرجان الشعر العامي بساقية الصاوي

شارك في مهرجان شعر الواو كمحاضر و باحث

شارك في مهرجان ساكب الدولي للثقافة و الفنون بالمملكة الأردنية الهاشمية

<u>مؤلفات مطبوعة:</u>

١ - الدواوين

* ديوان شعر فصحى عام ٢٠٠٤ بعنوان (فاتنتي) صدر عن دار المنار للطباعة

* ديوان شعر عامية عام ٢٠٠٤ بعنوان (خلتيني) صدر عن رابطة الزجالين وكتاب الأغاني.

* ديوان شعر فصحى عام ٢٠٠٥ بعنوان (بقايا رسائل محترقة) صدر عن دار المنار للطباعة.

* ديوان شعر فصحى عام ٢٠٠٦ بعنوان (شهرزاد) عن جمعية فرسان الفجر للتنمية الثقافية

* ديوان شعر عامية عام ٢٠١٢ بعنوان (قراية في فنجان مكسور) صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة

* ديوان مربعات من فن الواو ٢٠١٤ (وقال الزهيري) عن دار يسطرون للنشر والتوزيع

* ديوان شعر عامية عام ٢٠١٧ بعنوان (مفتاح اللغز) عن دار كليوباترا للنشر والتوزيع

* ديوان شعر فصحى عام ٢٠١٨ بعنوان (لا ثالث لهما) عن دار العماد للنشر والتوزيع

* ديوان شعر فصحى عام ٢٠١٨ بعنوان (السفر العاشق) عن دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

*بلابل من بر مصر (ديوان مشترك) عن الجمعية المصرية للتنمية الثقافية ٢٠٠٥

* ديوان شعر فصحى بعنوان (ولديّ أقوال أخرى) عن دار وادي عبقر للطبع والنشر٢٠١٩

٢ - مقالات نقدية

وقفة مع الصمت الصارخ... قراءة في ديوان الصمت الصارخ الشاعرة نادية عطا (نشرت بجريدة العمال)

حوار مع خطوط الرمل... قراءة في ديوان خطوط الرمل تتكلم للشاعر علاء رزق (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

على شاطئ الصحبة... قراءة في ديوان مشترك لشعراء من القاهرة (نشرت بجريدة العمال)

صراع القلب والعادات.... قراءة في رواية زينات للأديب حسين عفيف (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

فلسفة الموت في الشاعر الممتد شرقا... قراءة في ديوان الشارع الممتد شرقا للشاعر محمد حافظ (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

أحزان وهموم بير مسعود... قراءة في ديوان أولنا بير مسعود الشاعرة وداد الهواري (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

محاولات طرد الحزن بالزار... قراءة في ديوان دقة زار للشاعرة سلوى محمود (نشرت بموقع وادي عبقر)

دعنا نراك... قراءة في رواية دعني أراك بقلبي للأديب شريف عبد الرحمن (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

رحلة مع أصوات البلابل... قراءة في ديوان ستعود أصوات البلابل للشاعر محمد حافظ (نشرت بجريدة العمال)

لمحات المحاكاة في بشائر الفرح... قراءة في ديوان بشائر الفرح الشاعر محمد عباس محفوظ (نشرت بجريدة اللواء العربي الدولية)

السرد الدرامي في رسالة عاشق.... قراءة في ديوان رسالة لحبيبتي للشاعر محمد حكم

التمازج النفسي بين الواقع ولغة الشعر... قراءة في ديوان معالي الروح للشاعرة زينب الشاذلي (نشرت بمدونة وادي عبقر)

فلسفة المشاعر بين الحب والحرب قراءة نقدية في رواية جابر للأديبة نجلاء محرم (نشرت بمدونة وادي عبقر)

بخلاف التقديمات النقدية للعديد من دواوين بعض من شعراء مصر الشبان

<u>تحت الطبع :</u>

صفحات من سفر الغرام (شعر فصحى)

غداً ستشرق الشمس (مسرحية شعرية)

حواديت تطير النوم (شعر عامية)

أقولك إيه تاني (دراما شعرية)

الشيخ علي (مسرحية)

وبعدين ؟ (شعر عامية)

قبضة من أثر الشجون (مجموعة قصصية)

س (رواية)

تفاصيل لا تجدى (رواية)

صخورمقدسة (رواية)

فردة جزمة شمال (مسرحية)

آخر كلمة (مسرحية)

قمر في عز الضهر (مسرحية)

غيبوبة (مسرحية)

قطوف نقدية (مقالات نقدية)

ثنائية الصوت والصورة في الأدب الشعبي ـ فن الواو نموذجا (كتاب نقدي)

في عيونهم (أبحاث كتبت عن أعمالي)

مواويل الزهيري (نماذج من فن الموال)

أغاني الزهيري (أغنيات)

عاقل مجنون بالشعر (سيرة ذاتية)